مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الاداب والعلوم الانسانيه ، م١٣ ، ص ص ١١٧ - ١٨١ (٢٠٠٥م/١٤٢٥هـ)

سمو الأهداف وروائع البيان
في عالمية أمثال القرآن

محجوب الحسن محمد

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

المستخلص. إن الباعث إلى هذا البحث هو بيان جانب من جوانب الإعجاز القرآني ، ومعرفة قدر من لطائف التنزيل البديعة ودرره الكامنة في الأمثال القرآنية وذلك لتحقيق غرضين أساسيين ، أول الأهداف : عالمية الأمثال ومناسبتها للبشرية جمعاء حيثما حلت وحيثما وجدت ، وأن هذه العالمية في أمثال القرآن منبثقة من عالمية القرآن التي تمس الحاجة إلى معرفتها وتفهمها جيلاً بعد جيل ، وثاني الأهداف هو هذه البلاغة والفصاحة التي يتميز بها أسلوب القرآن الكريم المعجز في أمثاله وما يحويه من فوائد كثيرة ونكت غزيرة ليس في طوق البشر الإتيان بمثلها .

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان وجعل للكلام طرقاً وأساليب تكشف مصونات درره ، وتزيح الحجاب المسدل عن جواهره ، فيبدو ما كان مكنوناً ، وينجلي ما كان مستوراً ، ومن أشرف هذه الطرق وأنبلها الأمثال التي لا تستغني عنها أمة تريد بيان ملامح حياتها وإظهار توجهها الحضاري ، إنها مرآة صادقة تنعكس عليها حياة الشعوب وينظر من خلالها إلى حياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية ، وميزان يوزن به

رقي الأمم وتقوّم به عاداتها وتقاليدها وأساليب تفكيرها .

وقد اختصت الأمة العربية بين سائر الأمم بغزارة أمثالها التي حوت مناحي متعددة من مناحي الحياة ، فقدمت ثروة طائلة وتراثاً فنياً ذا جذور ضاربة في القدم ، لقد جاءت معبرة عن حياتهم في ألفاظ موجزة قوية سهلة الحفظ والتداول ؛ وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري "(١) ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام ، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله ، وأشرفه وأفضله ، لقلة ألفاظها ، وكثرة معانيها ، ويسير مئونتها على المتكلم ، مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها "(٢) .

وفطن جماعة من العلماء لما بسطه العرب من أمثال لها قيمتها فتفضلوا مشكورين بجمعها في كتب مستقلة منهم أبو هلال العسكري ، والميداني(٣) والنيسابوري(٤) ، ولم تقتصر جهود هؤلاء العلماء على حد الجمع بل ذيلوا كل مثل بأصله والسبب الذي قيل فيه وبينوا متى يضرب .

والمثل كما يقول المبرد(٥) : قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول والأصل فيه التشبيه(٦) فهو إذن قول بليغ سائر بين الناس يطلق في الحالات المشابهة ، وتلك الحالة قد تكون قصة أو حادثة أو موقفاً تاريخياً فهي حالة عجيبة صدر عنها المثل نثراً وقد يكون نظماً .

إن ذلك كله يقتصر على الأمثال السائرة بين الأمة ، وأما الأمثال القرآنية ، فهي أعم من المثل الذي يرتبط بواقعة تاريخية أو قصة ليتمثل به في الحالات المشابهة ، وهو أشمل من ذلك وأكبر لتضمنه نظرة شاملة للحياة الإسلامية

فمن أول ما ينبغي للمسلم أن يتسلح به هو أن يعلم أن القرآن الكريم عالمي ، نزل رحمة للعالمين متصلاً بجميع العصور لإصلاح البشرية جمعاء وأن في سياقه ومعانيه وطرق أدائه ، يكمن الإعجاز الذي لا يستطيع باحث أن يرتاد كافة مناطق عالميته ، وأن موضوعاً واحداً كالأمثال القرآنية - مثلاً - يجد فيه الباحث نفسه أمام بحر زاخر يبين

مناهج الحياة الإسلامية في صياغة ربانية خاصة .

وكما أن أمثال العرب مرآة صادقة لحياتهم فكذلك الأمثال القرآنية مرآة صادقة تنعكس عليها حياة الأمة المسلمة التي يريدها القرآن ، فهي بناء كامل ومدرسة رحبة تتسع ساحاتها لاحتواء كل أوجه الحياة ، وما من مثل يضربه القرآن إلا وتجده خدمة للعقيدة ، وتخليصاً لها مما يخالطها من شوائب ويعكر صفْوها من كفر وفساد ، فهو محكم في أهدافه وغاياته وقويم في منهجه له أسلوب محكم وأدلة وبراهين ساطعة ، ولا يغفل مع ذلك كله المناحي الجمالية وروعة البيان الذي يرد في آسر موقع وأجل مكان يتميز بدقة وفصاحة في المفردة ، وجمال في العبارة ، وبراعة في النظم والتراكيب ، وجاذبية في النغم ،وبلاغة تدل على المعاني المرادة .

وفي القرآن الكريم آيات جاء فيها لفظ المثل صريحاً . وتعرف بالأمثال المصرحة كقوله تعالى ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا** . . ﴾(٧) وهناك أمثال أخرى لم يصرح فيها بلفظ المثل وتعرف بالأمثال الكامنة . وورد أن الماوردي(٨) كان يستخرج بعض أمثال العرب والعجم من القرآن الكريم(٩) . ولكن هناك من العلماء من كره ذلك ورفض تلاوة الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا(١٠) ومنهم القاضي أبو بكر الباقلاني(١١) وهناك من جوز ذلك للمتمكن في العربية(١٢) .

ويستخدم القرآن لفظ الضرب في أمثاله المصرحة كقوله تعالى : ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ** ...... ﴾(١٣) . قيل المراد بضرب المثل جعله يسير في البلاد ؛ من قولك ضرب في الأرض أي سار فيها(١٤) وقيل الضرب مستعمل مجازاً في الوضع والجعل في قولهم ضرب خيمة وضرب بيتاً(١٥) كقول الشاعر(١٦) :

إنَّ الَّتِي ضَرَبَتْ بَيْتاً مُهَاجِــــرَةً   بِكُوفَةِ الجُنْدِ غَالَتْ وُدَّهَا غُولُ

وقول الفرزدق(١٧) :

ضَربتْ عَليكَ العنكَبُوتُ بنسْجِهَا   وقضى عليك بهِ الكِتابُ المُنزلُ

وهذه الأمثال المصرحة تتوافر فيها جميع خصائص المثل المعروفة ومن ذلك:

١ - المشابهة .

٢ - المورد : أي الصورة التي ورد فيها القول .

٣ - المضرب : وهو الصورة المشابهة .

٤ - صدور المثل عن حالة عجيبة .

وتتميز على غيرها من الأمثال بأسلوبها المؤثر الذي يرد في أشرف معنى يناسب كل زمان ومكان ، وهدفها السامي لبناء المسلم الحق ، حيثما كان وأينما حل ، في إحكام في التركيب وروعة في البيان مع ارتباط أول الكلام بآخره ارتباطاً كاملاً وكل ذلك يدل على عالمية الأمثال القرآنية التي نجدها - أي العالمية - في أهدافها ومقاصدها وطرق أدائها وأساليبها وفي ميادينها المتعددة التي تنتقى منها . ولأجل ذلك نكتفي بالحديث عن عالمية الأمثال القرآنية في هذه المباحث الثلاثة وحدها .

أهداف الأمثال ومقاصدها :

من أسرار خلود الأمثال وبقائها على تعاقب العصور والأزمان سمو أهدافها، وروعة بيانها العالمي المعجز ؛ ذلك البيان الذي أكثر العلماء الحديث عنه قديماً وحديثاً في كل مجال من المجالات المتعددة . لقد ألفت الكتب ونشرت البحوث ومع ذلك كله فلن يبلغ أحد شأو القرآن ولن يصل إلى نهاية القول في إعجازه ، لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ومسيرة التفكير في إعجازه طويلة تخترق الأزمنة وتهيمن على الأمكنة .

ولم يقتصر الإعجاز القرآني على جزء دون جزء أو فن دون فن . فأمثاله كلها ينتظمها سلك الإعجاز فهي سامية في أهدافها ومقاصدها وروعة بيانها لبناء مجتمع عقدي سليم . يقول الماوردي "من أعظم القرآن علم أمثاله(١٨) " وورد أن الشافعي(١٩) رضي الله عنه قال : " إن مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن معرفة ما ضرب

فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب معصيته "(٢٠) .

ويبين القرآن الغرض من أمثاله في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ......﴾(٢١) . وقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾(٢٢) . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾(٢٣) .

انظر لهذا البيان للناس جميعاً في أي زمان ومكان ، حيث قال سبحانه وتعالى " ضربنا للناس - نضربها للناس - للناس " . وانظر أيضاً وتمعن في سمو التعبير القرآني وارتقائه حين أشار باسم الإشارة الموضوع للبعيد " تلك " الذي استدعاه مقام العقل والعلم لبيان سمو مكانة الأمثال، وشرفها، وعظمتها، وعلو قدرها، وبعد هدفها . وكيف لا تكون كذلك وهي للناس جميعاً حيثما وجدوا " وتصدرت كل آية من الآيات السابقة بصورة خبر غير مؤكد في آية، ومؤكد بلفظ " لقد " في الآيتين الأخيرتين وجاءت خواتم الآيات نبراساً يضيء الطريق العالمي كله حيث قال تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ - وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ - وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

بينت الآية الأولى الهدف من الأمثال وحددت الثانية الذين يدركون الأمثال ويفهمونها ويعرفونَ مقاصدها ، وتصدت الثالثة للمجادلين الذين لم يروا النور بسبب جهلهم وضعفهم وجدلهم . وأطلق لفظ " شيء " للإنسان ليحد من كبريائه ويشعره بأنه أحد المخلوقات وأكثرها جدلاً .

لقد أحكم التعبير القرآني في بيان أهداف القرآن وغاياته من أمثاله . انظر إلى التعبير البلاغي الرفيع في الإخبار بأسلوب قصر الصفة على الموصوف في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ . لقد قصر فهم الأمثال وإدراكها على العالمين وخصهم بذلك ، ونفي ذلك عن المشركين الذين استنكروا أن يضرب الله المثل بالذباب والعنكبوت ، حين قال تعالى حكاية عنهم ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾(٢٤) . وبذا نفى عنهم استيعاب الأمثال وأثبته للعالمين الذين بلغوا درجة عليا من النضج الأدبي والفكري

والنفسي، ووجدو في أمثال القرآن مجالاً خصباً وأدركوا مراميها وفهموا المراد منها . لقد روى ابن كثير(٢٥) أن بعض السلف قال : إذا سمعت المثل ولم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله قال : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٢٦) .

وفي قوله " صرفنا " تتجلى العظمة الإلهية . فذلك يعني أن المثل القرآني يحوي أبواباً كثيرة ، وأمثله متنوعة في ضروب الحياة . ولما كان الوصف للقرآن خاصة ، فقد ورد تقديمه للاهتمام به حين تقدم قوله " : في هذا القرآن " على قوله " للناس " وأما قوله : " من كل مثل " فيدل على أنه يحوي أبواباً كثيرة ووجوهاً من المعاني وعبارات رائقة وأساليب متناسقة(٢٧) .

وعندما يضرب القرآن المثل يدعمه للبشرية بالحجة البالغة والبرهان الساطع فيقول عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾(٢٨) .

قال الأخفش(٢٩) " ليس هاهنا مثل ، لأنه سبحانه وتعالى إنما قال ضرب لي مثل فكيف تضرب هذه الآلهة مثلاً لربها وهو رب كل شيء ، الواحد ، الذي ليس كمثله شيء "(٣٠). أما القرطبي(٣١) فذكر أن أحسن ما قيل في ذلك قول الناس ، المعنى ضرب الله عز وجل ما يعبد من دون الله مثلاً(٣٢) .

لا شك أن الآية تضرب للناس مثلاً من أبلغ الأمثال في بطلان الشرك وبيان جهالة عابدي الأصنام والأوثان ، وضعف عقول من يلجأ إلى عبادة غير الله عز وجل ، ويوضح المثل حال المعبودات وعجزها أمام أضعف مخلوق . ويعرض بالكفار ويزري بهم ويحقرهم بما هم فيه من الخطأ .

هذا المثل وغيره من الأمثال القرآنية ترمي إلى تخليص العقيدة مما يشوبها في أنماط من التعبير إن تباينت طريقتها وصياغتها ، فإن روافدها كلها تصب في ميدان يتسع لكل رافد، يهدف إلى وحدانية الله عز وجل ، والدعوة إلى وحدانية الله ، إلى العقيدة

الخالصة، لا تختص بجنس دون آخر ولا تقتصر على بلد أو زمن بعينه ، وإنما هي للبشرية جمعاء ، ومن بدائع التعبير القرآني في ذلك هذه الصور المتعاقبة التي ينتقل فيها التعبير من حال إلى أخرى ،في تعلق بالحالة التي سبقتها ، ويبدو ذلك جلياً في هذا النداء الذي تصدر الآية "يا أيها الناس" نداء للبشرية كلها قديماً وحديثاً . نداء فيه لطف وتوجيه تتجلى فيه عالمية الدعوة الإسلامية ، وهي كفيلة بإصلاح البشرية عامة قال تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٣٣) ولم يقل مثل ذلك للرسل السابقين . فقال في شأن نوح عليه السلام ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ...﴾(٣٤) وقال في شأن هود عليه السلام ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ......﴾(٣٦) وهكذا في شأن لوط وشعيب وغيرهم من الرسل .

ولما كانت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عالمية اتخذ السياق القرآني التعبير العالمي الذي يكمن فيه الإعجاز الرباني فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فانطلق التعبير من حرف النداء "يا" الموضوع للبعيد وهو يخترق الأجواء والأزمان عبر القرون منادياً وعبر الفيافي والقفار صادحاً موقظاً البشرية في باديها وحاضرها كما يقول ابن كثير "أينما كانت وحينما حلت"(٣٧) .

والمتذوق للأسلوب الرفيع وجمال التركيب يؤخذ بالعدول عن بناء الفعل للمعلوم ببنائه للمجهول فقوله تعالى "ضُرِبَ" لم يذكر فاعله للعلم به ولكون المقصود من المثل تعقله وفهمه وإدراكه .

وفي ذلك من الطرافة والمتعة النفسية وتنشيط الحس . وفيه يقول البقاعي(٣٨):

"حاصله أن من عبدتموهم أمثالكم بل هم أحقر منكم (٣٩) .

ولا يزال السياق ينتظم في سلك التعبير العالمي حين نجده ينتقل من النداء إلى الأمر الموجه للناس جميعاً "فاستمعوا له" أي أنصتوا وتفهموا في تدبر لهذا الأمر الصادر من عظيم يضع كل شيء موضعه على ما تدعو إليه الحكمة ، لقد بدأت الآية بهذا التشويق

وليس بعد الإصغاء إلا التنبيه لما يراد .

ثم ينتقل السياق إلى الخبر المؤكد المعرف باسم الموصول (الذين) ، مثل ما ورد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾(٤٠) والمقصود بالتعبير بالموصول تخطئه المخاطبين وتحقير عبادتهم . فورود المسند إليه معرفاً بالموصولية لتخطئتهم قال الشاعر :

إنَّ الذينَ تَرونَهُم إخوانَكُم يَشْفِي غَليلَ صُدورِهم أنْ تُصرعُوا

وبالتعبير المؤكد بالموصول وصلته في الآية ، ينتقل الكلام من الإنشاء إلى الخبر وورود لفظ "من" يبين أن ما يعبد من دون الله في أدنى المراتب . مخلوقات ضعيفة لا تستطيع في حال اجتماعها أن تخلق حيواناً صغيراً كالذباب ، مثلاً .

والتعبير بالمضارع في قوله " لن يخلقوا ذباباً " فيه دلالة على العجز البشري ، وأن الوصف لا يتجدد لهم أصلاً في شيء من الأزمان على حال من الأحوال مع صغره فكيف بما هو أكبر منه(٤١) . ويتضح العجز البشري في صورة أكبر في قوله "ولو اجتمعوا له" في أي زمان ومكان .

يقول ابن كثير "لو اجتمع ما تعبدون من الأصناف والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك "(٤٢) .

ومن بلاغة التعبير القرآني ، أنه يحوي جملاً متعددة تقود من ضعف إلى حال أشد ضعفا ، إلى أن يصل إلى قوله " وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه " وهذا ينبه العالم إلى حالة أشد ضعفاً وعجزاً ، قال الماوردي " ليعلمهم أن العبادة إنما تكون للخالق المنشئ دون المخلوق المنشأ "(٤٣) .

ويرد التعبير بقوله (يسلبهم) ليدل على غاية الضعف والعجز ، يقال في اللغة سلبه يسلبه سلباً بمعنى اختلسه ، ويقال ناقة وامرأة سليب أي مات ولدها أو ألقته لغير تمام(٤٤) . ويقول الراغب الأصفهاني(٤٥) : السلب نزع الشيء من الغير مع القهر ويقال

للحاء الشجر المنزوع منه سلب(٤٦) .

والاستنقاذ والإنقاذ يعني التخليص(٤٧) . والسين فيه مزيدة ، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى ، والمراد أنهم لا يستطيعون رد ما سلب منهم . وقيل خص سبحانه وتعالى الذباب ، لأمور أربعة وهي : المهانة ، وضعفه ، ولاستقذاره ، وكثرته(٤٨) . وقال الشهيد سيد قطب(٤٩): وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض ويسلب أغلى النفائس ، ويسلب العيون والجوارح ، وقد يسلب الحياة والأرواح إنه يحمل مكروب السل والتيفود والدوسنتاريا والرمد ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير(٥٠) .

ويزدان الكلام ويبلغ الدرجة القصوى من البلاغة أيضاً عندما يصل إلى خاتمة الآية " ضعف الطالب والمطلوب " . ذيلت الآية بهذا التعبير للعبرة والتأسي ترتبط به الخاتمة بما قبلها ، وتأتي متسقة ومتلائمة معه ، لتكون نتيجة نهائية تضع حداً لنهاية الضعف والإزراء بهذه الآلهة المعبودة . قيل الطالب العابد والمطلوب المعبود(٥١) وقيل الطالب العابد والمطلوب الصنم(٥٢) . فهذا عاجز يتعلق بعاجز . ويذكر ابن عباس أن الطالب الصنم والمعبود الذباب(٥٣) . وفي كل دلالة على عجز المعبودات . السالب ضعيف مهين لا قدرة له ، والمسلوب ضعيف عن النصرة . يقول سيد قطب " مشهد يرسم الضعف المزري ويمثله أبرع تمثيل "(٥٤) .

من هذه الجولة في موكب المثل الكريم ، نخرج بأنه يجمع صنوفاً من القول ، وضروباً من فنون البلاغة ترد في تدرج يدعو للتأمل والتفكير في رحاب العقيدة الإسلامية ، وكل هذه المعاني الموجزة تخرج الخفي إلى الجلي ، وما لا يدرك بالحاسة إلى ما يدرك بها ، لتعرض الزراية والاستهانة بالذين يعبدون غير الله .

ويورد القرآن مثلاً آخر لعابدي الأصنام ، يشبههم فيه بحال العنكبوت التي لا تدفع شيئاً فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾(٥٥) .

هذا مثل من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة شبه فيه حال من اتخذ من الأصنام والأوثان أولياء عبدها راجياً نفعها بحال العنكبوت ، اتخذت بيتاً لا ينفعها قال القرطبي : " هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لمن اتخذ من دون الله آلهة لا تنفعه ولا تضره كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حراً ولا برداً "(٥٦) ووجه الشبه هو الضعف والمهانة والحقارة والاعتماد على أضعف ما يعتمد عليه مع سرعة زواله .

كقابض على الماء خانته فروجُ الأصابعِ

وليس هناك حالة أنسب من بيت العنكبوت لوجود العلاقة بين طرفي المثل وكمال المشابهة في وجه الشبه ، وجاء التعبير بالتأنيث " اتخذت بيتاً " تعظيماً لضعفها ، لأن المقام لضعف ما تبنيه(٥٧) . وتكلفها في صنعه ليقيها ويحميها ، كما تكلف هؤلاء الذين اتخذوا أرباباً من دون الله لحمايتهم ، ونفعهم ، وشأنهم في معبوداتهم التي هي في غاية الوهن شأن بيت العنكبوت في ضعفه ، يقول سيد قطب: " حشرة ضعيفة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو ولا وقاية لها من بيتها الواهن "(٥٨) .

لقد استخدم القرآن حرف الجر في قوله (من دون) للتقليل من شأن الأولياء، يقول البقاعي " ولما كانت الرتب تحت رتبته - سبحانه - لا تحصى ، وكل الرتب دون رتبته قال منبهاً على ذلك بالجار " من دون الله " " أي الذي لا كفء له ، فرضوا بالدون عوضاً عمن لا تكيفه الأوهام والظنون "(٥٩) كما استخدم ، واو الحال في قوله " وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت " وذكر الاسم الظاهر للتعميم ، وأكد الكلام بإن واللام ، لأن حالها في صنعها حال من ينكر وهن البيت الذي عانت في حوكه ما عانت ، وقاست ما قاست ، فمن ينكر الخبر فعليه أن يعمل فكره وعقله ليزول إنكاره وربط الجملتين الخبريتين بالواو مع بعضهما .

ومع أن السياق استخدم أفعالاً في الماضي ، لكنه يعم جميع العباد ، في جميع البلاد، في جميع الأزمنة . وختم الكلام بقوله " لو كانوا يعلمون " أي لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم لما عبدوا تلك الآلهة التي لا تغني عنهم شيئاً . فصار قوله " لو كانوا

يعلمون " أبعد في الترتيب الزمني من قوله " اتخذوا من دون الله أولياء " .

ألا ترى في كل ما سبق أن أمثال القرآن من أشرف الكلام الذي يتصف بأكمل صفات الحسن في معالجة أهدافه وأنها ، أي الأمثال ، ميدان رحب فسيح تتألف في أرجائه أهداف الإسلام ومقاصده ، وتكشف خفيات المعاني وتجليها برفع الأستار عن مكنوناتها كما يقول تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٦٠) .

ومن أهداف الأمثال القرآنية ذات الصبغة العالية تقديم سيرة الماضيين من الناس في صور من التعبير الراسخ والمعاني الوهاجة كالمصابيح المنيرة على منعطفات الطرق لينتظم سلوك الفرد والجماعة ، متخذا من قصص الأمم السالفة العبرة والعظة يقول تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٦١) . ويقول ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٦٢) .

هكذا يربط القرآن الكريم الماضي بالمستقبل بنقل أخبار الأمم التي مضت ، يكشف فيها ما حل بهم بسبب عصيانهم وطغيانهم ومخالفتهم رسلهم . ويجعلهم مثلاً لمن يأتي بعدهم مؤكداً المعنى بالقسم الناشئ من اللام وحرف التحقيق " لقد " ، لبيان كمال العنايةوالاهتمام بما أنزل . وأسند التبيين للآيات إسناداً مجازياً . ومما يدل على الاهتمام بالمثل عطفه على آيات لكونه مثلاً من قبيل أمثال الأمم الماضية فيه العظة والاعتبار ، وفيه القصص والزواجر . يقول عز وجل ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴾(٦٣) .

هذه أساليب ومعان بعيدة المرمى يقرأها جيل بعد جيل عقدت فيها المماثلة بين حالين ؛ حال مضت لحقها ما لحقها من معارضة الرسل . وحال عليها أن تعتبر وتتخذ من الماضين زاجرا عن ارتكاب المعاصي والمآثم والمحارم ، وتخشى عقاب الله . ففي قوله تعالى " وضربنا لكم الأمثال " دعوة للاعتبار والتذكر وطلب لقياس الأعمال بما آل إليه السالفون . يقول أبو السعود " والحال أنتم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين

لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الأمثال "⁽٦٤⁾ .

إن القرآن الكريم في أمثاله يجلي المشاهد المغيبة بغرض التفكير فيها والاتعاظ، ويصور ذلك في صور محسوسة مقربة للأذهان فيتضح الغائب بالحاضر ، كما في قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾⁽٦٥⁾ .

هنا يلفت القرآن إلى مثل تضرب حوادثه في أغوار الماضي لتبعث الحياة من جديد في مقام العظة والاعتبار . إنها حالة اجتماعية تساق إلى الناس في أسلوب من القيم الجمالية يخرج فيه الأغمض إلى الأوضح . وبالمشاهد ينجلي الغائب . ويمهد للتمثيل بذكر حالة اجتماعية لرجل قال عنه ابن عباس : هو بلعم بن باعوراء وكان عنده اسم الله الأعظم ⁽٦٦⁾ . قال ابن مسعود : هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى إلى ملك مدين داعياً إلى الله ، فرشاه الملك فتابع الملك وضل وأضل الناس بعد ذلك "⁽٦٧⁾ .

ولكن القرآن لم يذكر اسمه ؛ فليس هناك ما يدعو لذكر الاسم فالغرض العظة والاعتبار والتفكر . ولو شاء الله لرفع الرجل إلى منزلة العلماء والأبرار ولكنه أخلد إلى الأرض ومال للهوى .

لقد سيق المثل مسبوقاً بقصة ضرورية لإيضاحه وبيان ما يأتي بعده وإجلائه . وقد سلك القرآن أسلوب الاستقصاء ، لبيان هذه الصورة الاجتماعية عن تصرف فرد ساقه الشيطان إلى الهاوية فهوى . وجاء التشبيه بالكلب مناسباً . قال الراغب الأصفهاني " فإنه شبهه بملازمته واتباعه هواه وقلة مزايلته له بالكلب الذي لا يزايل اللهث على جميع الأحوال "⁽٦٨⁾ .

ولما كان الممثل به مذموماً فقد أعقب ذكره بقوله تعالى : ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾⁽٦٩⁾ والتعبير بالانسلاخ استعير ليدل على

النكوص عن طريق الحق . ومعنى انسلخ منها : خرج منها . تقول انسلخت الحبة عن جلدها أي خرجت منه . ولكن القرآن عدل عن لفظ خرج إلى انسلخ لبلاغته ، لأن صور السلخ تبين خروج الشيء مما لابسه ؛ فيظهر ما كان خفياً .

رد المطاعن :

ظل القرآن – منذ نزوله – يواجه حملات من أساليب الطعن والتشكيك لإبعاد الناس عنه . ولا يزال أعداء الإسلام يطلقون الكثير منها بغرض التشكيك فيه . فهناك مفتريات، وشبه، واتهامات، وأكاذيب تحمل معها النفاق والكفر ، فعندما أكثر الكفار من التشكيك في القرآن وفي رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تولى القرآن الرد عليهم متعرضاً لمواقف الكفار ومجيباً على افتراءاتهم وتشكيكهم فعندما قالوا ﴿ **لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً** ﴾(٧٠) .

قال عز وجل ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا** ﴾(٧١) وعندما التمسوا المعجزات ﴿ **وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا** ...... ﴾(٧٢) أجاب سبحانه وتعالى ﴿ **هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا** ﴾(٧٣) وعندما قالوا : ﴿ **وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ** ﴾(٧٤) أجاب سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ** ﴾(٧٥) وعندما اتهموا القرآن بأنه من كلام الجن والشياطين أجاب سبحانه ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ** ۝٢٢١ **تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ** ۝٢٢٢ ﴾(٧٦) .

وبمثل هذا الأسلوب رد القرآن المطاعن والمفتريات التي قيلت تشكيكاً في أمثاله . فقد اتخذ اليهود والمشركون من ورود الأمثال منفذاً للتشكيك في صدق القرآن ، فرد كيدهم إلى نحورهم في دقة من الألفاظ التي تناسب المعنى وتصوره خير تصوير ، وإيثار لفظ على لفظ لوجود فروق دقيقة بين مدلولات الألفاظ . فعندما استنكر المشركون أن يضرب عز وجل الأمثال بالذباب والعنكبوك أتاهم الرد منه سبحانه وتعالى فقال ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾(٧٧) .

فدفعت هذه الآية الشك وبينت الحكمة من ضرب الأمثال ،وطمأنت المؤمنين . إن الله عز وجل قادر على خلق الصغير والكبير ، وفي كليهما سر لا يعلمه إلا الله . واختار القرآن أسلوباً له موقعه المناسب حيث يستدعيه المقام ، فلما كان الموضع موضع استحياء حسب تصور الكفار وظنهم ، استخدم القرآن ما يناسب المقام بألفاظ اتسق بعضها ببعض مضمنة لفظ " يستحي " وهي لفظة موحية بمعناها تكسب التعبير قوة، ولو انتزعت من التعبير يختل المعنى تماماً . وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من موافقة القبيح(٧٨) .

وعبر القرآن الكريم بلفظ «يستحي» عن الترك لأن الترك من ثمرات الحياء ومن استحيا من فعل شيء تركه(٧٩) . والتعبير بهذا اللفظ أوجز وأحكم من أن يقال لا ينقبض ولا يمتنع .

وازداد التعبير إحكاماً بلفظ " ما " . ولذا فإن السياق القرآني يدل على أن المثل لا يمتنع أن يكون بالبعوض أو بغيرها سواء أكان كبيراً أم صغيراً . فالشأن عند الله واحد يقدر سبحانه على الكبير والصغير . ومما يزيد الكلام روعةوجلالا ويكسبه فخامة أنه لو قال إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً بعوضة لم يكن فيه من الفخامة وارتفاع مكانه من الفصاحة(٨٠) .

وفي خاتمة الآية " ما يضل به إلا الفاسقين" عدول عن لفظ الكافرين إلى لفظ الفاسقين ، وهذا ما يناسبهم من الأوصاف ، الفسوق يعني في أصل معناه الخروج تقول فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها وهؤلاء خرجوا من الهدى إلى الضلال ومن الحق إلى الباطل فاستحقوا أن يوصفوا بالفسوق .

وبلغ بالكفار الإنكار درجة قصوى حين قالوا ﴿ **مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً** ﴾(٨١) ولم يدركوا حقيقة الأمثال وما فيها من هداية ومعان سامية ، مما يدل على ضعف عقولهم وقلة أفهامهم فإن ضرب المثل بالبعوض لا يقدح في فصاحة القرآن الكريم وإعجازه لما فيه من الآيات والدلائل التي تدل على عظمة الله عز وجل وجلاله وقدرته ، يقول

الشاعر .

يَا مَنْ يَرى مَدَّ البَعُوضِ جِناحَهَا   فِي ظُلمةِ الليلِ البَهِيم الألْيلِ
ويَرى عُروقَ نِياطِهَا فِي نَحْرِهَا   والُمَخ فِي تلكَ العِظَام النُحلِ
اغفرْ لعبدٍ تابَ فِي فرطاتهِ   مَا كَانَ منه فِي الزمانِ الأولِ

وفي موقف آخر من مواقف الجدل والخصومة والمكابرة التي لا يريدون من ورائها حقاً يقول تعالى ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ** ﴾ (٨٢) .

سبب هذا المثل أن القرآن استنكر عبادة غير الله فقال الكافرون " ما يريد محمد إلا أن نتخذه إلآهاً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم إلآهاً (٨٣) وقالوا فإن كان عيسى في النار فلتكن آلهتنا في النار .

إذا رجعنا إلى سياق المثل نجده قد استهل بذكر مكابرتهم أولاً " ولما ضرب ابن مريم مثلاً " واستخدم فيه الفعل المبني للمجهول لكون الفاعل معلوماً ولا حاجة لذكره كما قال تعالى : ﴿ **وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا** ﴾(٨٤) وأعقب ذلك " إذا قومك منه يصدون فلفظة «يصدون» مصورة للمعنى تبين أسلوب الكفار في المكابرة واللجاج ، أي أنهم يضجون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال. وقرأ نافع والكسائي وابن عامر (٨٥) يَصُدُّونَ " بضم الصاد والمعنى يعرضون (٨٦) .

ثم حكى القرآن ما قالوه استهزاء واستخفافاً " ، وقالوا آلهتنا .. "فجاء قولهم مصدراً بهمزة الاستفهام التقريري دلالة على اعتقادهم بأن آلهتهم خير ، وذلك على سبيل التحدي والخصومة والاعتزاز بالشعور بالانتصار فهم يرضون أن تكون آلهتهم مع عيسى والملائكة وعزير (٨٧) .

ثم يأتي الرد في كلام بليغ مفحم ، دفعاً للطعن وبياناً للحكمة يظهر من خلاله قصد الجدل والخصومة وعدم إرادة الحق في مجادلة بالباطل " بل هم قوم خصمون " وقد

وضعهم القرآن في موضع التحقير والتقليل فلم يورد لهم اسماً ، وإنما ذكرهم بضمير الغائب " هم " بغرض تمكين ما بعد الضمير في ذهن السامع ليستقر في النفس بأنهم لم يضربوا هذا المثل إلا بقصد الجدل والخصومة.

ومما كان يجادل فيه الكفار ، ويحاصره القرآن لاجتثاثه من جذوره ؛ تلك الانحرافات التي كانت سائدة في الجاهلية . لقد كانت الوثنية تزعم أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومع أن الجاهليين كانوا يكرهون البنات فقد كانوا ينسبونهن لله سفهاً وجهلاً فقال تعالى﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾(٨٨) .

التعبير القرآني ورد في ألفاظ أحكم وضعها في أسلوب يدعو للاستنكار والاستخفاف بعقول هؤلاء القوم . وتصدر ذلك كلمة " إذا " التي قد تستعمل للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة كما يستعمل الفعل المضارع(٨٩) . وقد وردت في هذا السياق القرآني ظرفاً للمستقبل متضمنة معنى الشرط فوقعت في الابتداء داخلة على الجملة الفعلية " بشر " التي تدل في أصل وضعها على الخير في حين أن المبشر به وقعه في نفس الجاهلي يختلف تماماً عن أصل الوضع ، ولكن القرآن أوردها استهتاراً واستخفافاً بعقولهم . وإن إيرادها في سياق الماضي المبني للمجهول ومجيء جواب الشرط " ظل وجهه " على الماضي المبني للمعلوم يضفي على المعنى دلالة زمنية تجعل الفعل " بشر " في زمن أبعد من جواب الشرط .

ولم يقل "يظل" للدلالة على حقيقة وقوع جواب الشرط بحيث يرد لفظ "مسوداً" في سياق الماضي للدلالة على تجدده في الماضي ووضع " مسوداً " في هذا السياق جاء مستقيماً في موضعه ليدل على الحالة النفسية بداخل الإنسان الجاهلي . إنها تربط ما بين ظاهره وما بداخله . فعلامة الوجه تكشف ما عليه حال الإنسان .

وأما لفظة " كظيم " فقد وردت في سياق الجملة الاسمية الحالية وذلك يدل على ثبوت الحال والاستمرار . وما أروع التعبير بهذه اللفظة التي يتطلبها المعنى وتضيف

معنى جديداً . فهي تدل على ما تردد وحبس في النفس ، وعلى السكوت ألماً عما بداخلها . وهي أفضل مما لو استخدمت كلمة حبيس أو أي كلمة أخرى.

بهذا التعبير المحكم البليغ يبين القرآن شأن هؤلاء الكفار في اعتقادهم ونظرتهم للأنثى فإذا بشر بها أحدهم أربد وجهه وامتلأ غيظاً وتأسفاً . قال الفخر الرازي المقصود من الآية التنبيه على قلة عقولهم وسخافة تفكيرهم (٩٠) . ومما يروى في هذا الشأن أن أحد العرب وضعت امرأته أنثى فهجر بيتها فقالت :

مَا لأبِي حَمّزَةَ لاَ يأتينَا   يَظلُّ في البيتِ الّذي يلينَا
غَضْبانَ أنْ لا نَضَعَ البنينَا   وإنَّما نَأخذُ مَا أعطينَا

وهكذا يجادل القرآن الفكرة بحجة قوية وقد فعل ذلك في دحض هذه الفرية في أكثر من موضع فقال عز وجل ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾ (٩١) وقال موبخاً ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ..... ﴾ (٩٢) .

ميادين الأمثال

ومن أسرار خلود الأمثال القرآنية وبقائها على مر العصور والأزمان أنها ترتاد ميادين عظيمة مألوفة للبشرية جمعاء وتتميز بروعة أسلوب عرضها وجمال صياغتها ومن هذه الميادين :

الطبيعة :

من الفوائد العظيمة أن معاني الأمثال القرآنية ترد مقربة للأذهان والمدارك حين تعرض مستمدة من الطبيعة ، فعناصرها باقية ما بقيت الأيام ، يدركها كل فرد في أي زمان ومكان . يقول الشيخ محمد المبارك (٩٣) " إن صور الطبيعة كثيرة مبثوثة في الكتاب العربي المبين ، وهي طبيعة واسعة عامة غير خاصة بالبيئة العربية وصحرائها وآكامها ووحوشها " (٩٤) . ويذكر في موضع آخر أنها تحتوي على صورة شاملة جامعة للكون (٩٥) .

وإذا استعرضنا بعض مشاهد الطبيعة في أمثال القرآن نجد أنها بألفاظ دقيقة مختارة وجمل تحقق المعنى المراد ، تصور جانباً من جوانب الحياة في تركيب بديع وأسلوب فني مستمد من الواقع . يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٩٦) .

تشبيهان بديعان تصدرهما الاستفهام التقريري الذي بدأ بهمزة الاستفهام ، متلوة بحرف النفي " لم " ثم فعل الرؤية وفاعله ، وأعقب ذلك كيف الاستفهامية فأصبح الاستفهام للتقرير . والمعنى : انظر بفكرك في هذه الأمور وتنبه (٩٧) كيف صيغ كل مثل مركباً من عدة صور يشاهدها كل ذي عينين في عالم المرئيات .

وبطريق الإقناع الهادئ الذي يحرك الرغبة في الحق وينفر من نقيضه ؛ يتحرك الوجدان والعاطفة وتنجلي الوشائج التي تربط بين الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة وبين الكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة . ومن خلال التعبير القرآني نرى نتائج الكلمة الطيبة التي تنمو وتزدهر وتثمر العمل الصالح حين تصور بالشجرة النامية ، ذات الثمار اليانعة والأصل الثابت الراسخ في الأرض والفروع الممتدة، مما يجعلها آمنة من القلع والاجتثاث والزوال . يقول ابن كثير " والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء أو ليل أو نهار كذلك المؤمن يرفع له عمل آناء الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين " (٩٨) .

ومن صفات الشجرة الطيبة أنها تؤتي أكلها في كل حين والحين في اللغة الوقت قال النابغة :

تَنَاذَرهَا الرّاقُون من سُوءِ سمِّهَا تُطلّقُهُ حِيناً وحِيناً تُراجِعُ

ونرى من خلال التعبير القرآني أيضاً نتائج الكلمة الخبيثة حين تصور بالشجرة

الخبيثة التي لا أصل لها ولا قرار. فهي في زوال واندثار .

وبالتصوير القرآني ، يظهر الإيمان وماله من أصل ثابت وفرع قوي وثمر زكي طيب. ويظهر الكفر مجرداً من الأصل والفرع والثمر . يقول ابن كثير "كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع ولا يصعد للكافر عمل ولا يتقبل منه شيء "(٩٩) .

وفي مشهد آخر من مشاهد الطبيعة يتخذ القرآن مادة حسية لتصوير المعاني المعنوية المجردة ويضرب لذلك مثلاً للحق والباطل . وهما أمران متضادان يقول عز وجل ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾(١٠٠) .

هذان مثلان للحق والباطل تجمعهما علاقة بين المثلين ، وعلاقة أخرى بين الطرفين ، وثالثة تربط المثلين بما قبلهما . الحق أمر معنوي وكذلك الباطل وفي الطرفين شبه الحق أولا بحال الماء الصافي النافع ، وشبه ثانياً بما ينتفع به من صوغ الحلي كالمعادن والذهب والفضة والمشبه به في الحالين أمر حسي .

ومما يربط المثلين بما قبلهما نورده في قول الصابوني : " لما ذكر سبحانه وتعالى في الآيات السابقة أن في الأرض دعوتين دعوة الحق ودعوة الباطل وذكر أن دعوة الله هي الحق ودعوة ما يعبدون من دونه هي دعوة الباطل ذكر تعالى هنا مثلين ضربهما للحق وأهله والباطل وحزبه ، ليتضح الفرق بين الهدي والضلال والرشد والغي ثم أعقبه بذكر مآل المؤمنين في دار النعيم والكافرين في دار الجحيم(١٠١) .

وفي تشبيه الحق بالماء الصافي ورد لفظ الماء نكرة لتشريفه وتعظيمه . فهناك تقارب شديد وملاءمة تامة بين الحق والماء وهما أمران طاهران نقيان ، وكلاهما نزل من السماء لمنفعة البشر ؛ الماء تحيا به الأرض والحق تحيا به القلوب . يقول صلى الله عليه وسلم: " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير " .

ومن مظاهر الجمال التعبيري ، أنه عندما قال " أنزل " بين جهة المنزل فقال " من السماء " . ولما كان المنزل من السماء يحوي أنواعاً شتى قال " ماء " ثم أعقب ذلك بقوله " فسالت أودية " أي مياه من الأودية منها الكثير والقليل . والمعنى أن المياه ملأت الأودية . وفي تشبيه نقي الحلي من المعادن والذهب والفضة التي ينتفع بها العباد بالحق تقارب شديد أيضاً ، وذلك لما فيهما من الصفاء والنقاء ولما فيهما من فوائد جمة ينتفع بها العباد .

وأما الباطل فقد مثله القرآن بالزبد والرغوة التي تظهر على الماء ، وبالخبث من الجوهر . إن الزبد يعلو مياه الأنهار والسيول ولا يلبث أن ينحسر على جنبات الأنهار والوديان فيزول ولا ينتفع به . وكذلك الخبث فإنه يعلو ما يذاب من الذهب والفضة والنحاس فيزول وينمحي ، ولا يبقى شيء . يقول سيد قطب " فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء " (١٠٢) .

ومن روائع التعبير القرآني أنه عبر بالمجاز العقلي ، فقال " فسالت أودية ؛ وهو من إسناد الشيء إلى مكانه . ومقتضى السياق : " فسالت مياه الأودية " ولكن التعبير القرآني هو الأليق بهذا المقام ؛ فمن عجائبه وبلوغ نهاية البلاغة فيه أن جعل الوادي كله وكأنه يسيل . يقول سيد قطب " إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية وهو يلم في طريقه غثاء يطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان وهذا نافش راب منتفخ ولكنه بعد غثاء والماء من تحته سارب ساكن هادئ ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة (١٠٣) .

إن الحق والباطل في صراع مثل الزبد الذي تتقاذفه الأمواج . وإن الباطل وإن علا لفترة ؛ إلى الزوال والفناء . والحق وإن تأخر فهو ثابت يعلو وهو باق على الزمن . يقول سيد قطب أيضاً : " فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ رابياً طافياً ولكنه بعد زبد أو خبث وما يلبث أن يذهب جفاء مطروحا لا حقيقة له ولا تماسك فيه والحق يظل هادئاً ساكناً ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح " (١٠٤) .

الحياة الدنيا :

ومن الميادين التي تقتطف منها أمثال القرآن تلك التي يضرب بها المثل تلو المثل عن الحياة الدنيا لتصوير زوالها وفنائها وسرعة انقضائها . ففي عدة تشبيهات مركبة لا يعزل بعضها عن بعض ، تشترك في معنى عام ، تخرج المعاني الذهنية المجردة فى دلالات حسية ذات تصوير بديع يقول تعالى في سورة يونس ﴿...... إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١٠٥) . ويقول تعالى في سورة الكهف ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ .... ﴾(١٠٦) . ويقول سبحانه وتعالى في سورة الحديد ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(١٠٧) .

هذه أمثلة متكررة للحياة الدنيا ، تنقلها الأمثال في صور متعددة متخذة لكل مثل استهلالا خاصاً يناسب المقام والغرض الذي سيق من أجله المثل يقول العلوي ينبغي لكل من تصدى لمقصد من المقاصد وأراد شرحه بكلام أن يكون مفتتح كلامه ملائماً لذلك المقصد دالا عليه فما هذا حالهِ يجب مراعاته في النظم والنثر جميعاً(١٠٨) .

بجانب ما تفتتح به الأمثال السابقة من افتتاح رائع ، يشوق إلى ما يراد ذكره؛ فإنها جميعاً تتعرض للحياة الدنيا في مشاهد متعددة تجعلها تشترك في أشياء عامة نورد منها :

١- تصف الأمثال مشاهد الحياة الدنيا في معرض العظمة والاعتبار وتبين حقيقتها في كونها آيلة للزوال والفناء والانقضاء ومع ذلك كله فإن الإنسان يفتن بها ويغفل عن حقيقتها .

٢- عرض القرآن مشاهد الحياة الدنيا في افتتاحيات مختلفة ولكنها مناسبة للمواقع

التي وردت من أجلها .

٣- وردت المشاهد على أسلوب التركيب الذي يرسم صوراً محسة تتعلق بمسار الفكرة .

٤- عناصر الأمثال مستمدة من الطبيعة وهي - أي الطبيعة - جزء أساسي لأداء المعنى يقول العلوي : " فإنك لو حذفت منها جملة واحدة تطرق الخرم إليها على قدر المحذوف وكان مخلاً بمغزى التشبيه الذي قصد فيها (١٠٩) .

٥- تشترك التشبيهات في عناصر عامة هي الماء النازل من السماء ، ونبات الأرض المختلط به ، والفناء ، والزوال ، بعد الاخضرار والازدهار .

٦- تعالج كل القضايا في أسلوب في القمة من البلاغة والروعة من البيان ولترى حقيقة هذه الصفات انظر إلى المثل الأول من سورة يونس لترى كيف يركز على أساس متين من الصياغة والمعنى الذي يناسب كل زمان ومكان . وقد سيق بعد حديث عن الذي يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا وفتنتها . لقد بدأ المثل بهذا الاختصاص في قوله " إنما مثل الحياة الدنيا " في التفات من الخطاب إلى التكلم ، وأسلوب من القصر استدعاه المقام ليكون قصر موصوف على صفة ، وقصر قلب ؛ أنزل فيه المخاطبون منزلة من يظن دوام الحياة الدنيا ؛ فجاء الحكم - بخلاف ما يعتقد - ملائماً لحاله . كما عبر عن الافتتان بالدنيا واغترار الإنسان بها باستعارة كلمة الزخرف فقال " أخذت الأرض زخرفها " أي ألوان ثيابها وزينتها واختلاف ألوانها المونقة . والمراد أن الأرض لبست زينتها بألوان زاهية يقول تعالى ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾(١١٠) .

وقوله "أخذت الأرض زخرفها" من بديع الاستعارة حيث شبهت الأرض عندما تتزين بالنبات والأزهار ، بالعروس التي تتزين بالحلي والثياب .

ويسترسل السياق لتصوير الزوال والفناء بتشبيه ما آلت إليه الأرض بعد اخضرارها بما يحصد من النبات ، فقال " فجعلناها حصيداً " ولفظ «حصيد» على وزن فعيل بمعنى مفعول . وهذا أبلغ من "محصود" . فلا يقال "حصيد" إلا لما حصد . وفي لفظ "حصيد" دلالة على أن الحصد كان بليغاً وفيه أيضاً دلالة على اكتمال الحدث وانتهائه .

وهذا من قبيل التمثيل الذي يصور به المحسوس بالمحسوس . صورت فيه الدنيا وسرعة انقضائها بحال ماء نزل من السماء لبست به الأرض زينتها ثم قضت عليها آفة بعد أن اطمأن أهلها إليها . والجامع بين الممثل والممثل به هو الهلاك وهو أمر معقول ، فوجه الشبه إذن هيئة منتزعة من متعدد . وهذه اللوحات المتسقة المرتبة لا ينفصل بعضها عن بعض كما يقول عبد القاهر الجرجاني في موضع من المواضع " لو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالمغزى من التشبيه (١١١) .

وفي سورة الكهف عطف قوله " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا " على آية سابقة ورد فيها قصة رجلين وجنتين مثلا للقيم الزائفة والقيم الرائعة فقال تعالى : ﴿ **وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا** ﴾(١١٢).

وبعد الحديث عن الرجل المؤمن والرجل البطر ، والحديث عن الجنة الزائلة ، في الدنيا ، أعقب ذلك بالحديث عن الجنة الحقة ، مرتبطا بالعطف وبالمعنى ، واستهل المثل بقوله " واضرب " . وانتقل الأسلوب لتصوير الزوال في صورة الهشيم الذي تذروه الرياح . ونكر الماء لتعظيمه وختم المشهد ببيان قدرة الله عز وجل ، في أسلوب آكد لأفضلية نعيم الجنة وتنفير مما في الآخرة من عذاب .

وفي سورة الحديد " اعلموا أنما الحياة الدنيا " جاء الكلام موهنا للحياة الدنيا ومحقرا ، بعد الحديث عن الشهداء والحديث عن الكافرين الذين تركوا طريق الكرامة والنعيم ، واختاروا طريق أصحاب الجحيم . فتصدرت الآية بقوله " اعلموا " في التفات من التكلم إلى الخطاب في أسلوب قصر الموصوف على الصفة ؛ في دلالة على طلب الإصغاء والاستماع لأمر عظيم ، وهو كون الحياة لا تتعدى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد . ثم يأتي التفصيل بتشبيه هذا النعيم الزائل ؛ في صورة حسية ، ينجلي بها التحذير من أمر الدنيا الفانية ، والترغيب في الآخرة وأفضلية نعيم الجنة الدائم .

وهكذا يعرض القرآن الكريم ميدان الحياة الدنيا مصوراً مباهجها واغترار الناس بها ، بأمور حسية مستمدة من الطبيعة في تصوير تتضاءل أمامه قدرة البشر . ولا يستطيعون أبدا الإتيان بكلام مثله ، وهو كلام يبقى على مر الزمن .

البشـــر :

ومما يصوره القرآن في ميدان البشر نجد حالة مألوفة ، يكشفها القرآن وكأنها أمر محسوس مشاهد . يقول تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١١٣) .

مثلان من الطبيعة يحكيان الواقع للمنافقين ، وهم مع المؤمنين مرة ومع الكافرين مرة أخرى . شبهت حالهم بصورتين من الصور البديعة ؛ حال المستوقد نارا وحال الصيب . وفي المثلين حركة واضطراب وتردد وحيرة تناسب ما يعانيه المنافق من إظهار الإيمان وإبطان الكُفر . روي أن ابن عباس قال " كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه (١١٤) .

وقال الترمذي(١١٥) مثل المنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان مرائياً للناس كان له نور بمنزلة المستوقد نارا يمشي في ضوئها مادامت تتقد ناره فإذا ترك الإيمان صار في ظلمة كمن أطفئت ناره فقام لا يهتدي ولا يبصر ذلك(١١٦) . وقال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافق الذي تكلم بكلمة الإيمان ظاهراً ، فناكح ووارث بها وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت ولم يك مصدقاً بها سلبت عنه فترك في كرب وظلمة فتحير فيها كما كانت معاملته في الدنيا في حق الله سبحانه وتعالى(١١٧) .

نخلص من كلام هؤلاء العلماء الأجلاء إلى أن القرآن يصور واقع المنافقين وينقل ما في نفوسهم من أمراض وعلل مصوراً بحركة الإيقاد والإنطفاء ويرد ذلك كله في

أسلوب بليغ أحكم فيه الكلام في نسيج ملتئم وفي جمال من التركيب . ويظهر الجمال وروعة التركيب في هذا التعبير الذي يتصدره التعبير بالمفرد " كمثل الذي استوقد " ثم يعقبه الجمع " ذهب الله بنورهم " إلى قوله " لا يبصرون " وذلك أن لفظ الذي يكون مفرداً في اللفظ وجمعاً في المعنى كقوله تعالى : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (١١٨) . وكقوله تعالى ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ (١١٩) .

والجمع للمنافقين في قوله " ذهب الله بنورهم " . قال الأخفش " أراد أنه استوقد من غيره ناراً (١٢٠) . ويرى الفراء أن المثل للفعل لا لأعيان الرجال ، ولو كان التشبيه للرجال لكان مجموعاً كما قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (١٢١) ولعل السبب في الإفراد والجمع أن مستوقد النار يكون واحداً ولا معنى لاجتماع جماعة لاستيقاد النار ، وأن أثر ذلك يمتد إلى غيره ، وفي يوم القيامة يحاسب كل من كان على شاكلته . فالاستيقاد بمعنى الإيقاد ووقود النار وارتفاع لهيبها . ومستوقد النار يدفع بها الأذى ويهتدي بها ، فإذا انطفأت وصل الأذى إليه وضل الطريق ويذهب عنه نور الإسلام ويعود إلى ظلمة كفره (١٢٢) .

وفي قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ نكتتان بلاغيتان أولاهما في استخدام لفظ الضياء والنور وثانيتهما في الإسناد ؛ الإضاءة : الإشراق وهو فرط الإنارة يقال ضاءت في نفسها وأضاءت ما حولها (١٢٣) قال الشاعر :

أَضَاءَت لَهُم أَحْسَابُهم وَوُجُوهُهُم   دُجَى اللَّيلِ حَتى نَظمَ الدُرِّ ثَاقِبُه

عدل في التعبير القرآني عن الضياء إلى النور لأن الضياء أعم من النور لقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ (١٢٤) .

إن نفي الضياء لم يلزم منه نفي النور ، إذ لا يلزم من نفي الخاص نفي العام وإن إذهاب النور أبلغ من إذهاب الضوء لاندراج الأعم في نفي الأخص لا العكس. فلو أتى بضوئهم لم يلزم ذهاب النور والمقصود إذهاب النور عنهم أصلاً (١٢٥) .

ذكر ابن قيم الجوزية أنه لم يقل "نارهم" ، فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق(١٢٦) .

لقد أسند سبحانه وتعالى الإذهاب إليه فكل شيء بأمره عز وجل وعدى الفعل بالباء لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك كقوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾(١٢٧) . وقوله عز وجل ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(١٢٨)، وقوله ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾(١٢٩) .

وفي قوله سبحانه وتعالى أو " كصيب من السماء " صورة مهولة إنها بيان لحال المنافقين في حيرتهم ؛ صورة المطر والبرق والرعد وهم في مفازة تكاثفت عليهم ظلمات المطر والغمام والليل المظلم لقد أرعبهم الرعد بجلجلته وناره .

ثم ورد الإخبار عنهم بالصمم والبكم والعمى بالتشبيه البليغ ، وذلك لعدم قبولهم الحق . وذكر الزمخشري(١٣٠) أن الرعد والبرق لم يجمعهما في الآية كما جمعت الظلمات وذلك لأنه أراد عين الرعد والبرق ، فهما مصدرا أرعدت السماء وبرقت فلم يجمعهما نظراً إلى أصلهما وإن أريد الحدث فكأنه قيل إرعاد وإبراق(١٣١) .

طرق الأداء وأساليبه

إن من أسرار البيان في أمثال القرآن وسر خلودها وإعجازها أنها ترد في أجل تعبير تراعى فيه العلاقات والترابط والتناسق بين أجزاء الكلام وتلاحمه بحيث تتعلق بدايته بنهايته مما يجعله في درجة عليا من البلاغة التي يعجز عنها البشر في أي زمان ومكان ولكل كلمة في البيان القرآني ولكل جملة موقع يزدان به الكلام جمالاً وروعة وإصابة للمعنى المراد .

الملاءمة في الطالع

لقد اهتم البلاغيون والأدباء بهذا الضرب من الكلام الذي تتعانق ألفاظه وجمله وفقره فتحدثوا عن مطالع الكلام وصلتها بما بعدها ومناسبة المعاني للغرض الذي وردت

من أجله يقول العلامة شرف الدين الطيبي ومن حسن ملاءمة الكلام أن يضمّن معنى سيق الكلام لأجله ليكون الابتداء دالا على الانتهاء(١٣٢) .

ومما أعجب به العلماء قول أبي تمام في فتح عمورية(١٣٣):

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ   في حده الحدُ بين الجد واللعبِ

وقول أبي الطيب(١٣٤) في تهنئة سيف الدولة من مرضه :

المَجْدُ عُوفِي إذْ عُوفيتَ وَالكَرَمُ   وزالَ عَنكَ إلى أعْدائكَ الألَمُ

وقوله في الحكمة :

الرَأيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُجعَانِ   هُوَ أوَلاً وهْيَ المحَلُ الثَاني
فإذا هُمَا اجْتَمَعَا لنَفْسٍ حُرَةٍ   بلَغَت مِنَ العَليَاءِ كُلَ مكَانِ

والقرآن فوق هذا كله ولا مجال لمقارنته بغيره فهو يحوى أجل كلام ونظمه أدق نظم تصب الأفكار والمعاني في أمثاله في سهولة من الألفاظ والجمل المتصلة والمتلائمة مع بعضها فانظر إليه كيف يستخدم لفظ المثل وكاف التشبيه مع ما يتبعهما من المعاني ، حسب ما يقتضي المقام .

مثلهم .. كـ

يورد القرآن لفظ المثل وكاف التشبيه في آيات كثيرة منها ما جاء في مدح الصحابة رضوان الله عليهم في قوله تعالى ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾(١٣٥) .

هذا مثل محكم في وضع ألفاظه وتعبيره وفي الصورة المناسبة التي تناسب الحال التي جاءت لبيانها . الضمير في " مثلهم " يرجع إلى الصحابه رضوان الله عليهم . ولما كانوا قد بدأو قليلين ثم صاروا يزدادون ويكثرون شيئاً فشيئاً استخدم القرآن لفظ الزرع في تشبيهه . فهو مثل ضربه الله لبدء ملة الإسلام وترقيه في الزيادة إلى أن قوي

واستحكم (١٣٦) .

واستخدم القرآن الكريم كاف التشبيه وحده في المشبه به دون أن يذكر لفظ المثل . وهذا ما يفيد ويضيف دلالة ذات شأن عظيم وهي الارتباط الوثيق بين الممثل والممثل به مع زيادة قوة في صفات الممثل به ، بها يزدان الممثل ويزداد قوة وإجلالاً وتعظيماً . ففكرة الازدياد مشاهدة في الصحابة وفي الزرع . ووردت الفاء في " فآزره فاستغلظ فاستوى " لتدل على التعقيب والترتيب . ومع أن كل فعل يعقب الآخر لكن التعبير القرآني يطوي الزمن طيا، فالفاصل الزمني بينهما لا يكاد يذكر .

وأما الممثل به فقد سيق من عناصر مألوفة في البيئة من نوع تظهر فيه القوة بعد الضعف في حال بعد حال . ومن روعة التعبير وبلاغته أيضاً أن كلمة " زرع " نكرة فلا تدل على زرع معين وهذا ما تستدعيه البلاغة ويحتمه المقام مثلما نجد ذلك في لفظ الربوة في قوله عز وجل ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ (١٣٧) .

استخدم القرآن لفظ الربوة دون غيرها لأنها أحسن وأجمل . ومراد الكلام الا يدع الإنسان قليل البر إذا لم يفعل كثيره . فكثير البر مثل زرع المطر ، كثير النفع. وقليله مثل زرع الطل ، قليل النفع . فالجود من الكثير والقليل (١٣٨) .

مثـــل ....:

يورد القرآن لفظ المثل في المشبه وحده في أوصاف الجنة ، ولا يورده في أوصاف الدنيا ؛ لأن ما فيها من نعيم لا يرقى إلى ما في الجنة من نعيم ولا يدانيه ، و قرب المشابهة ما في الأسماء من تشابه . يقول عز وجل (١٣٩) . ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ . . . ﴾ .

من يقرأ مطلع الآية يدرك أن المثل من جنس يستحق المدح والثناء والجزاء . فهو

مطلع يهيء الأذهان ويشوق لالتقاط صور الجنة التي حدد القرآن بدقة متناهية أوصاف النعيم فيها ممثلاً بما في الدنيا من نعيم . وقد استدعى المقام أن يرد لفظ المثل في الطرف الأول دون الثاني ، ولم يرد كاف التشبيه في أي من الطرفين .

نعيم الجنة مغيب عنا ، لم نره ولكنا نؤمن به . والآية تصوره بما هو مألوف ومعلوم ، تقربه للأذهان والمدارك في دقة في الوصف والاختيار . فالصفات المراد إثباتها لن تقرب إلى العقل ما لم تذكر ممثلة بما في الدنيا من نعيم . ولما كان نعيم الدنيا لا يساوي نعيم الجنة وليس قريباً منه ، عقدت المشابهة بمحافظة على المعنى ؛ بإخراج كل ما يوهم بوجود المماثلة التامة بين الأشربة والأطعمة . الماء في الجنة غير أسن ولا تتغير رائحته ، والطعام لا يتغير طعمه .

ووضع الكلام في إيجاز تقتضيه المعاني باستخدام الفعل المبني للمجهول في قوله (وعد المتقون) لورود ذكر الجنة فيما سبق ، ولبيان أنه وعد محقق لا محالة . وفي ذلك يقول البقاعي(١٤٠) صار الوعد بها - يعني الجنة -في غاية التحقيق ، فعبر عنه بالماضي المبني للمجهول ، إشارة إلى أنه أمر قد تحقق بأسهل أمر وفرغ منه إلى إن صار حاضرا لا مانع منه ، إلا الوصف الذي علق به الوعد ووصفها بصفات تفيد القطع بأنه لا يقدر عليها إلا الله . فصار مجرد ذكرها والإخبار عنها بصيغة المجهول أعلى لأمره(١٤١) وخص المتقون بهذا الوعد لما يتصفون به من صفات الإيمان والعمل الصالح .

ومثل ذلك قوله تعالى ﴿....مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾(١٤٢) . لقد بني الفعل " وعد " للمجهول أيضاً في هذه الآية ، ليفيد أن من يتقي الله ينال هذا الجزاء المقرر . فهو أمر محقق لا محالة . وورد التمثيل أيضاً بما هو مألوف وأخرج من ذلك نقائص الدنيا ؛ أكل الجنة لا ينقطع وظلها دائم . وجاء التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد لبيان عظمة الجنة وعلو شرفها وقدرها ومكانها .

وهكذا يرسم القرآن صورة الجنة المغيبة عنا ويظللها بظلال خاصة ، ومدلولات معلومة ، لكل الأجناس على اختلاف مللهم ونحلهم بتعبير يشعر بلطف الله عز وجل

على عباده ؛ باستمالتهم إلى ما يدخلهم الجنة .

مثل .... كمثل :

ومن براعة الاستهلال المتعلق بما سبقه من معنى يناسب الحال ويتطلبه المقام ، بيان حال الكفار وذمهم وتجهيلهم في قوله عز وجل ﴿ ... **وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾(١٤٣) .

إن مطلع الآية يدل على أن المثل من جنس يستحق الذم ، اقتضى فيه المقام أن يرد لفظ المثل في الطرفين مصحوباً بالكاف في الطرف الثاني بغرض تقوية الكلام ، ليقع الذم في أقبح صورة مقرباً المشابهة للأذهان ومقوياً العلاقة بين الممثل والممثل به . فهم قد قالوا ﴿ **بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ** ﴾(١٤٤) . هؤلاء الذين يتبعون آباءهم في ضلالهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون . إنهم كمن تبع أعمى في طريق شائك وعر لا يدرون ما هم فيه من خطر . وصاروا يستحقون التشبيه بالبهائم السارحة يسوقها صاحبها ويزجرها ، وهي لا تفقه ولا تعي ما يقول . إنها صورة تليق بهؤلاء المقلدين الذين لم يتدبروا ما في القرآن من آيات وعظات بسبب تعطل منافذ المعرفة والهداية فيهم . إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون . وهم كما قال ابن عباس(١٤٥) ، مثل البهيمة التي ينعق بها تسمع الصوت ولا تفهم معناه(١٤٦) وكما قال ابن كثير إذا نعق بها راعيها أي دعاها إلى ما يرشدها ، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه ، بل إنها تسمع صوته فقط(١٤٧) .

وتصدرت الآية بالمسند إليه معرفاً بالموصولية إشارة إلى ما في الصلة من نوع الخبر . وهو نوع يستحق الذم . ويظهر ذلك فيما ورد من كلمات مستوحاة من جو المثل ؛ جعل فيها الكفار بمثابة من فقد السمع والنطق والبصر في دعائهم والتجائهم للآلهة التي يعبدونها من دون الله . وورد التشبيه على ما ألفه العرب من الذم براعي الضأن في الجهل حين يقولون أجهل من راعي ضأن(١٤٨) .

ولما كان الكفر ، وهو معنى مجرد ، يعني في اللغة الستر والتغطية ، فقد ورد المثل متسقاً مع هذا المعنى باختيار ألفاظ تكشفه ملتئمة مع جو المثل ومفصلة القول فيه وهي "

النعيق - السمع - الدعاء - النداء "

النعيق يعني زجر الغنم والصياح بها يقال نعق بغنمه نعقاً ونعيقاً ونعاقا صاح بها وزجرها(١٤٩) قال الأخطل(١٥٠) :

انعق بِضأنك يَا جريرُ فإنَما مَنَّتك نفُسكِ في الخَلاء ضَلالاَ

والدعاء يكون للقريب والنداء للبعيد . والأغنام منها ما بعد ومنها ما قرب، والراعي يناديها بصوته العالي والمنخفض وقد تقدم دعاء القريب على البعيد .

ذكر السيوطي أن في الآية احتباكا حذف فيه من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر وتقديره : ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق به . فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه ، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه(١٥١) .

ومثال ما ورد فيه لفظ المثل في الطرفين مصحوباً بالكاف في الطرف الثاني كما في الآية السابقة ، قوله تعالى : ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾(١٥٢) .

قربت المشابهة في هذا المثل . وورد المعنى في صورة من التمثيل متناسقاً في كلماته وتعبيره وطرق أدائه . وقرب المشابهة بين الطرفين يظهر في حكمة الله وقدرته في خلق كل من آدم وعيسى من غير أب فجاء القياس محكماً والمشابهة واضحة . ذكر أنهما من غير أب ولم يقل أنهما خلقا من تراب . وكان ذلك ردا لنصارى نجران الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : أرنا عبدا خلق من غير أب ؟ فقال صلى الله عليه وسلم آدم . من أبوه ؟ أعجبتم من عيسى ليس له أب : فآدم عليه السلام ليس له أب ولا أم . وبذا بطلت دعواهم بالحجة الساطعة والبرهان القاطع الذي جاء متعلقاً بالسؤال في قياس بديع . يقول القرطبي(١٥٣) : " دليل على صحة القياس والتشبيه على أن عيسى خلق من غير أب كآدم لا على أنه خلق من تراب والشيء قد يشبه الشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن يجتمعا في وصف واحد فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من

تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقا من غير أب(١٥٤). ويقول البقاعي: " فمثل عيسى أقل غرابة من هذه الجهة وإن كان أغرب من حيث إنهم لم يعهدوا مثله فلذلك كان مثل آدم مثلاً له موضحاً لأنه مع كونه أغرب أشهر "(١٥٥).

ومن بلاغة الكلام أن جاء مؤكداً بإن في الطرف الأول والكاف في الطرف الثاني، لإزالة اللبس وبيان حكمة الله وقدرته وعظمته. ومما يزيد الكلام قوة وإيضاحاً أن عقدت المشابهة بخلق آدم وصغر من أمر خلق المسيح عليه السلام، فقال عز وجل " خلق من تراب " ولم يقل خلق من طين أو حمأ أو غير ذلك، فعدل عن الطين الذي خلق منه آدم في قوله تعالى﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾(١٥٦) وذلك العدول لأن المقام لإظهار العجب؛ في حين أنه في موضع الإمتنان على بني إسرائيل قال﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾(١٥٧) تعظيماً لما يخلقه بإذنه ليعظموه(١٥٨).

وختمت الآية بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فعبر بصيغة المضارع المقترن بالفاء ولم يقل " فكان " باعتبار الماضي للدلالة على أن أمره سبحانه وتعالى كائن. وهذا حكاية للحال وإشارة إلى أنه يتجدد، وأن وفد نجران قد ظلموا في قياسهم.

(مثله، مثلهم) .... كمثل

قد يذكر القرآن أوصافاً لمفرد أو جمع سبق ذكره، ثم يضرب المثل بناء على تلك الأوصاف؛ زيادة في كشف أحوالهم، ويستهل الكلام بلفظ المثل متصلاً بضمير يرجع إلى المفرد أو للجمع كقوله عز وجل ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ .... ﴾(١٥٩) وقوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا .... ﴾(١٦٠) وقوله ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ ...... ﴾(١٦١). لقد اقتضى المقام أن يرد لفظ المثل مصحوباً بالكاف في الطرف الثاني وبذا تقرب المشابهة بين الطرفين وتقوى العلاقة.

ومع أن هذه الآيات الثلاث تتحدث عن الذين لم يسلكوا سبل الهداية، وابتعدوا عن الطريق القويم، فإن لكل آية مناسبة خاصة بسط الأمر فيها بأسلوب أدعى إلى إدراك

البغية . وبها من دقة التركيب وعقد المشابهة ما يناسب المقام يقول الخطابي (١٦٢) . إن من دقائق التركيب وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأحفل الأشكل به الذي إذا بدل مكانه غيره جاء منه تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام واختلال التركيب (١٦٣) .

ففي الآية الأولى سيق الكلام الذي يناسب التمثيل بقوله " صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا " واختير المثل الذي يناسب المرائي الذي يحسب أن أعماله صالحة ومسلكه قويم ، فإذا بأعماله كلها تذهب يوم القيامة دون فائدة . وقوله " صفوان عليه تراب " يعني حجرا أسود مغطى بتراب يظنه الرائي تربة صالحة فإذا أصاب الحجر مطر شديد ذهب عنه التراب وأصبح صلداً ، أي أملس لا شيء عليه .

وفي الآية الثانية يرجع الضمير في " مثلهم " إلى المنافقين حيث شبه حالهم بحال المستوقد نارا مرة وبحال الصيب مرة أخرى فجاء التعبير مناسباً للمنافقين الذين يظهرون الإسلام وبه تحقن دماؤهم ويسيرون في حرمته وضيائه ثم يسلب ذلك كله يوم القيامة عند الحاجة إليه .

ويأتي التعبير مناسباً للحالة الثانية أيضاً ، أي أن المنافقين مثلهم كمثل قوم يصيبهم مطر شديد وتجتمع عليهم ظلمةالسحاب وظلمة المطر ويصيرون في حيرة وتردد . ومن فرط دهشتهم ورعبهم وخوفهم من الموت يجعلون أصابعهم في آذانهم فأطلق «الكل» وأراد الجزء أي أراد رؤوس الأصابع .

وفي الآية الثالثة جاء التمثيل بالكلب في حالاته التي وردت في الآية . وذلك بعد إيراد واقع تاريخي صور فيه القرآن قصة لعالم من علماء السوء ، كان قد علمه الله آياته العظيمة ولو ظل عليها لرفعه الله ، ولكنه انسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

وخير ما يمثل به هذا العالم هذه الصورة التي ذكر فيها صفات خسيسة للكلب فجاء المثل مرتبطاً بما سبقه ومتصلاً به . فلما كان هذا العالم قد طغت عليه صفات الذلة والخسة شبه بالكلب في أسوأ حالاته وصار هذا تعريضاً مناسباً لليهود الذين انسلخوا

عن التوراة وتعريضاً لكل منافق ومراء على طريقتهم .

لقد تعرضنا للتمثيل في ثلاث حالات تبين أن الأمثال القرآنية لها نسق خاص وتلاؤم في أجزائها ومعانيها وتأتي مناسبة للحالة التي أريد لها أن توضحها وفي الوقت نفسه تجد بداية المثل تنساب نحو نهايته ليكتمل الارتباط في كل أجزائه .

ومما سبق أيضاً من أمثلة نجد أن الأمثال القرآنية ليست بمعزل عما في الكون وعما هو مألوف في الحياة الإنسانية ولأجل ذلك فهي تناسب كل زمان ومكان الأمر الذي يدل على عالميتها المأخوذة من عالمية القرآن كله .

تناسق النغم :

إن التناسق والترابط بين أجزاء الكلام لا يقتصر على المعاني وارتباطها بمطالع الكلام فحسب ، وإنما يتصل بما في النص القرآني من إيقاع ونغم . فإضافة إلى ما تتميز به أمثال القرآن من روائع بيانية محكمة في تعبيرها وأدائها فإنها تتميز أيضاً بروعة إيقاعها وجمال نغمها وبما تحدثه من أثر في النفس تتجلى فيه المعاني الخفية بدلالات حسية . إن المحسوسات أشد أثراً وأقوى بياناً في نظم القرآن عندما تنعقد المشابهة الدقيقة التي يختار لها الألفاظ والأساليب التي تجليها في صور رائعة وإيقاع بديع فيلتقي جمال الصورة بجمال الإيقاع وصحة المعنى المراد يقول سبحانه وتعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ ﴾ (١٦٤) .

بالآية تناغم بين الحروف والكلمات المؤدية إلى المعنى المقصود . انظر إلى الكلمات " حملوا - يحملوها - الحمار - يحمل " وما يحدثه صوت الحاء المتكرر بين الحروف بجانب جرس الثاء والسين والميم في " مثل - ثم - لم - أسفار " وحرف الذال والظاء في " الذين - كذبوا - الظالمين " ثم اقرأ الآية مرة أخرى في وقفات ومقاطع متناسقة لتقف علي روعة البناء وجمال النغم وما يحدثه من راحة نفسية ينطلق فيها النفس مع هذه الألفات المتكررة .

هذه مجموعة من الإيقاعات تتعاقب وتتناغم في نغم جذاب وترتيب استدعاه المقام وتطلبه المعنى .

ويقول عز وجل في صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾(١٦٥) .

وبمثل ما سبق نجد حروفاً تتناسق وكلمات تتشابه مثل " كزرع - فآزره - فاستغلظ - فاستوى " حروف التفشي تتعاقب في هذه الآية وحرف الفاء الذي يدل على التعقيب يربط الكلام في ثلاثة مقاطع . ينتقل صوت الفاء فيها إلى الحرف الذي يليه في يسر وسهولة دونما تعثر أو نبو بين الحروف والكلمات .

ولما كان المشبه به هو الزرع أوثر أن تكون الكلمات من نوع يلتئم معه في دقة ووضوح ليكون المعنى أكثر جلاء . ولما كان تنكير الزرع للتكثير والتعظيم فقد دل بما يصاحبه من الألفاظ على قوة الصحابة وازديادهم شيئاً فشيئاً .

ثم انظر أيضاً إلى مقاطع الكلام وتوزيع نغماته في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾(١٦٦) .

إن القرآن لا يهمل معنى لنغم أو نغماً لمعنى . وإن أفضل ما يعبر به عمن حجبت عنه رؤية الأشياء على حقيقتها وتعطلت حواسه وجوارحه ، وابتعد عن سماع الحق ، ولم تنفذ آيات الله إلى قلبه وعقله ليتدبر ويدرك ، ويسلك طريق الإيمان ، هو هذا التعبير القرآني . إن منافذ المعرفة التي فقدها كل من الأعمى والأصم قد حجبت هي أيضاً رؤيته للأشياء على حقيقتها . وتعطلت فيها حواسه وجوارحه . ولأجل ذلك جاء التمثيل مناسباً في إيقاع تتقابل فيه صفات الفريقين . مما يزيد المعنى وضوحاً ويؤكده ويقرره في النفس .

ومن مواضع الإحسان وانتظام الإيقاع أنه لم يقل " الأعمى والبصير " " والأصم والسميع " فإن الأعمى إذا سمع شيئاً يهتدي إلى الطريق والأصم قد ينتفع بالإشارة

ومن فقد الحاستين فلا حيلة له(١٦٧) .

واقتضى التعبير القرآني ورود الأسلوب الإنكاري " هل يستويان مثلا " من حروف سهلة في نطقها وفي نغم استفهامي يوقف تيار الكلام للتأمل والتفكر ليقول بعد ذلك " أفلا تذكرون " .

وهكذا ينتظم أسلوب القرآن في نغم يتآلف مع المعنى وينسجم مع الألفاظ لينبثق من ذلك إعجاز رباني يعجز البشر عن الإيتان بمثله .

أسلوب الترغيب والتنفير :

ومن طرق الأداء أن القرآن يعرض بعض أمثاله في سور محمودة مرغبة، ويعرض بعضها الآخر في صور مذمومة منفرة . ففي قوله تعالى : ﴿... أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ..... ﴾(١٦٨) . وقوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾(١٦٩) يمدح سبحانه وتعالى الإيمان ويذم الكفر بما يناسب كل حال . فشتان ما بين قوله عز وجل " أصلها ثابت " وقوله "اجتثت من فوق الأرض " وما بين قوله " فرعها في السماء " وقوله " ما لها من قرارٍ " .

وهكذا يختار القرآن التعبير الذي يناسب كل حال فلما كان أصل كل شيء قاعدته ، ويكون راسخاً في الأرض ، ويرتفع الشيء بارتفاعه ، قال " أصلها ثابت وفرعها في السماء " واستخدم لفظ الفرع للأغصان الممتدة للسماء . يقال " فرع كذا " إذا طال . وسمى شعر الرأس فرعا لعلوه . وقيل رجل أفرع وامرأة فرعاء . وتفرعت في بني فلان بمعنى تزوجت أعاليهم وأشرافهم(١٧٠) . واستخدم لفظ اجتثت للشجرة الخبيثة وهذا يعني أنها اقتلعت جثتها من أصلها قال الشاعر :

هُو الجَلاءُ الذّي يَجتثُّ أَصْلَكُم فَمَن رَأي مِثل ذَا يوماً وَمَن سَمِعَا

والإجتثاث يعني الاستقصاء من الجذور لعدم ثبات الأصل . وفي قوله " ما لها من

قرار دلالة على أنها لا استقرار لها ولا أصل لها ولا ثبات ولا نفع . بل وجودها ضار ولو بشغل الأرض . وهذا يماثل الكلمة الخبيثة الباطلة ؛ لا بقاء لها وإن علت وقتا ، لأن حجتها باطلة ، فجنودها منهزمة(١٧١) . ثم ختمت الآيتان بما يرغب في الكلمة الطيبة وينفر من الخبيثة فيقول في الطيبة ﴿... يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ ﴾ ويقول عن الخبيثة ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ .

وفي قوله " يثبت الله .. الخ " وقوله " ويضل الله الظالمين " احتباك حذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر ، ذكر الثبات أولاً دليلاً على ضده ثانياً والإضلال ثانياً دليلا على الهدى أولاً(١٧٢) .

وفي التشبيه السابق الذي شبه به الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في نموهم وتكاثرهم بالزرع ينمو ويزدهر ويزداد كثرة بعد كثرة ، اتخذ القرآن أسلوباً يعلى من شأن الصحابة ويصور حالهم في أجمل صورة من الطبيعة في تكاثرها وازديادها فقال ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾(١٧٣) .

وفي دعوته للإنفاق في سبيل الله عز وجل يضرب مثلاً من الجنة التي تنبت سبع سنابل لمن يعمل قليلاً في سبيل الله ، ثم يجني من ثمار عمله الكثير . فيقول عز وجل ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ .... ﴾(١٧٤) .

فلما كان الممثل له عظيماً استهل التعبير بإيراد الممثل به مثله في العظمة والأهمية . لقد صورت الأضعاف وكأنها ماثله أمام عيني الناظر . لأن الممثل به مشاهد في كل بيئة من البيئات .

ولما كان الإنفاق في سبيل الله يضاعف الأجر ؛ ورد المدح بأسلوب يكسو المعنى حلة من الفخامة والإعظام لشأن المنفق . وجاء الكلام مؤكداً بالكاف " كمثل " ومبيناً ما يؤول إليه الإنفاق في سبيل الله . وأسند فيه الإنبات للحبة على سبيل المجاز الذي علاقته السببية . ويضاف إلى ذلك كله أن الآية وردت متصلة بما قبلها في قصة المار على

قرية وقصة إبراهيم عليه السلام(١٧٥) فبعد ذكر الإحياء والإماتة ، جاء ذكر النفقة في سبيل الله وهذا مما يذكر بالبعث والنشور . ولا ينفق في سبيل الله من غفل عن ذلك ، ولم يعتقد فيه . فالإشارة للبعث واضحة فمن كان قادراً على إخراج سبعمائة حبة من حبة واحدة فهو - عز وجل قادر على إحياء الموتى وبعثهم .

ومثل ذلك يرى في صورة هذا البستان الذي استقر على ربوة . وسيق التمثيل به لبيان حال المنفق ابتغاء مرضاة الله ، وما يلقى من جزاء واف يقول تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١٧٦) .

وفي قصة ذلك العالم الذي انسلخ عن آيات الله ، وشبهه القرآن بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث جاء الممثل له حقيراً ، وورد الممثل به مثله في الحقارة ، في أسلوب يبين مذمة شديدة ويظهر صفة خسيسة ، وحقق معنى ومقصداً كبيراً يلائم كل من يكذب بآيات الله .

أسلوب المعقول والمحسوس :

ومن ألطف طرق الأداء وأساليبه وأدخلها في البلاغة أن القرآن يعرض في أمثاله الطبيعة في عبارات رشيقة وكلمات دقيقة محكمة تتجلى فيها الحقائق المعنوية بدلالات محسوسة(١٧٧) ويذكر البلاغيون أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه وقد تفرد القرآن بالصور الجميلة التي تنقل المعنى من خفي إلى محسوس ويخرجها في أقوى دلالة على المعنى من الصور الذهنية وأقدر على الإقناع وأدخل في البراعة .

ويقول عز وجل ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾(١٧٨) .

المثل في هذه الآية مستعار للصفة التي فيها غرابة ؛ فذكر ما يناسب المعنى الصرف يجعله يرتسم في الحس فيحصل الفهم التام ويتم الوصول إلى المطلوب(١٧٩) .

ينقل القرآن صفة الكفار وحالهم العجيبة في دلالة حسية مجسدة متحركة . المشهد المعنوي فيها والمشهد الحسي يتناسقان ويلتقيان في أسلوب بديع تظهر فيه المقدرة الإلهية في ذهاب أعمال الكفار التي كانوا يعملونها في الدنيا ، وفي صوغ الألفاظ والعبارات التي تؤدي ضروباً من المعاني تتابع في تعلق وارتباط ببعضها .

ألا يحس القارئ أن بيان أعمال الكفار بأمر محس وبيان ذهابها وعدم الانتفاع بها مع أن ظاهرها الخير تقتضي أن يعرضها القرآن في مشهد رماد أطارته الريح في يوم عاصف شديد الريح ؟ .

استخدم القرآن الرماد لعقد المشابهة لما فيه من الخفة والسرعة في التطاير والزوال . يبين البرسوي في كلام طويل أن الرماد لا فائدة فيه تذكر وكذلك أعمال الكفار لا تنفعهم في شيء(١٨٠) .

لقد جعل القرآن سرعة زوال الرماد بسبب ريح جعلها سبحانه وتعالى في يوم عاصف ليكون أشد في الانقضاء وأسرع في الزوال فاكتمل المشهد الحسي بهذه الصورة المألوفة أيما اكتمال يقول أبو السعود: الاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم أنها شفعاء لهم عند الله تعالى. وفيه تهكم بهم . وفي توصيف الضلال إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب(١٨١) .

ولما كان الأمر متعلقاً بالعمل في الدنيا قدم " مما كسبوا " في أعمالهم في ذلك اليوم على قوله " على شيء " وأشار إلى الأمر الشنيع في قوله " ذلك هو الضلال البعيد " وجعله بعيداً لفوات استدلاله بالموت(١٨٢) .

وفي مشهد آخر من قبيل المعقول والمحسوس يضرب القرآن مثلاً لأعمال الكفار التي لا يحصلون منها على شيء في الآخرة إذ لا فائدة منها بسبب فساد العقيدة يقول سبحانه وتعالى ﴿ **مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ..... ﴾(١٨٣) .

وبنظرة فاحصة في هذه الآية وفي الآية التي سبقتها تدرك إعجاز القرآن في تميزه بالتعبير والأفكار التي لا تتناقض أبدا . إن أعمال الكفار التي تبدو في ظاهرها أعمال بر وإحسان لا تقبل أبدا . فهذه الفكرة البالغة التجريد يعرضها القرآن في الآية السابقة في صورة الرماد المتناثر ، وفي هذه الآية في صورة تمثيلية بارعة بصورة فيها هلاك أعمال الكفار وما ينفقونه بقصد الثناء والذكر - بمن زرعوا في غير موضع الزرع وفي غير وقته فجاءته ريح فيها صر فأهلكته .

واقتضى السياق أن يرد الكلام مؤكداً بالكاف في قوله " كمثل " لتأكيد فساد أعمال الكفار وهلاكها ، لأن المقام مقام إنفاق لا يرجى منه فائدة ما دام على غير سبيل الله . واختار القرآن لهذا التمثيل الريح المدمرة التي تصيب حرث قوم ظلموا أنفسهم بالمعاصي والمفاسد . واختار لهذه الريح المدمرة وصف الصر ، كما اختار لها في الآية السابقة وصف الريح العاصف . والصر يعني البرد الشديد(١٨٤) . أو هو صوت لهب النار التي تكون في الريح(١٨٥) وأصل الصر صوت في الصرير(١٨٦) فجاء المثل محكماً في صورة عجيبة بأشياء مألوفة في البيئة العربية وغيرها من البيئات . وكل جزء في هذا التمثيل البديع يلتئم مع غيره وتتلاحق الصور الأخاذة لتصبح الصورة واضحة ومكتملة.

خاتمة

تم بحمد الله وتوفيقه الحديث الموجز عن الأمثال القرآنية ، ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه أتى على كل ما يمكن أن يقال في الأمثال القرآنية . فهي ميدان رحب ممتد الجوانب والأطراف . والمتدبر في الأمثال القرآنية يجدها تنير الطريق للسالك وتجعله يعيش مع كلام ثابت الدعائم ومتين الأركان ، يربي المجتمع الإنساني عامة ويطهره من المفاسد وينهض بالقيم الخلقية ويضع العلاج الشافي ويرسم الطريق في أسلوب بلاغي رفيع يضع القارئ في بستان غرسه طيب وماؤه صاف نمير وشجراته مزهرة ظلها وأرف وثمره يانع زكي، بالألفاظ يرتوي وبالعبارات ينمو ويزدهر وبالمعاني يخرج ثمرا جنيا في جمال العبارة ورونق الإطار وجاذبية النغم .

وقد شاهدنا كل ذلك في معانيه وأسلوبه العالمي الذي يعرض الفكرة من جميع نواحيها يحرك بها الوجدان ، ويتخذ العبارات التي تدل على عالمية الإسلام .

كما شاهدناه يتخذ من الطبيعة منهجاً يحمل مشاعل الهداية في طبيعة لا ينتهي أمرها عند من عاصر نزول القرآن ، بل تمتد آفاقها إلى نهاية العالم . ويسوق ذلك في أروع الكلام وفي تصوير دقيق يبين بطلان الشرك وجهالة عابدي الأصنام مؤيداً بالحجة الساطعة والبرهان الواضح يظهر فيه الخفي في صورة الجلي في بناء محكم له أهدافه وغاياته التي تدعو إلى الإخلاص في عقيدة التوحيد .

الهوامش

(١) هو أبو هلال بن الحسن بن عبد الله بن سهل من أدباء القرن الرابع الهجري. كان عالماً باللغة والشعر والأدب ، له مؤلفات كثيرة منها كتاب الصناعتين وكتاب ديوان المعاني وكتاب جمهرة الأمثال ، توفي سنة ٣٩٥هـ ، راجع ترجمة حياته في كتاب الصناعتين ص ٥-٢٧ وبغية الوعاة : ١/ ٥٠٦-٥٠٧، وعلم البديع ص٢٠٨ وما بعدها .

(٢) جمهرة الأمثال : ١/ ٤

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري الأديب ، كان أديباً فاضلاً عارفاً باللغة له فيها التصانيف المفيدة . توفي سنة ثماني عشرة وخمسمائة في شهر رمضان، راجع اللباب في تهذيب الأنساب:٣/ ٢٨ .

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري نسبة إلى نيسابور وهي أحسن مدن خراسان وأجمعها للخيرات ، والنيسابوري فقيه شافعي رحل في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر ، أخذ الفقه عن الشافعي وعن مجموعة من العلماء كان ثقة حافظاً عالماً بالحديث ، كانت ولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين ووفاته في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، راجع اللباب في تهذيب الأنساب : ٣/ ٣٤١ .

(٥) هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد من ثمالة من قبيلة الأزد ، وهو إمام العربية ببغداد في زمانه ، أخذ عن المازني وأبي حامد السجستاني وغيرهما ، وكان عالماً بالشعر فصيح اللسان حسن البيان، له تصانيف كثيرة منها الكامل والمقتضب والمقصور والممدود ، توفي سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد ، انظر بغية الوعاة ١/ ٢٦٩-٢٧١ .

(٦) مجمع الأمثال للميداني : ١/ ١١٣ ، راجع نظم الدرر : ١٠/ ٣١٧و٤١١ .

(٧) البقرة : من الآية ١٧ .

(٨) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المعروف بالماوردي ، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين وغيرهما ، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ (٩٧٤م) ، توفي سنة ٤٥٠هـ ، راجع النكت والعيون : ١/ ٩- ١٣ ,

(٩) راجع التحبير في علم التفسير : ص ٣١٤ و ٣١٥ ، والإتقان في علوم القرآن : ٤-٣٨-٤٥ ومعترك الأقران : ١/ ٤٦٤-٤٧١ .

(١٠) البرهان في علوم القرآن : ١/ ٤٨٣ .

(١١) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر الباقلاني قاض من كبار علماء الإسلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨هـ وسكن ببغداد وتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ من كتبه : إعجاز القرآن - والإنصاف ، راجع الأعلام للزركلي : ٧/ ٤٦ ، انظر مناهج بلاغية ص ٤٧ والبلاغة فنونها وأفنانها ص ١٣ .

(١٢) راجع البرهان في علوم القرآن : ١/ ٤٨١ .

(١٣) الزمر : من الآية ٢٩ .

(١٤) جمهرة الأمثال : ١/ ٧ .

(١٥) راجع التحرير والتنوير : ١/ ٣٦١ والكشاف : ١/ ٢٦٤

(١٦) البيت للشاعر عبدة بن الطبيب من قصيدته التي مطلعها :

هل حبلُ خولة بعد الهجرِ موصولُ أم أنت عنها بعيد الدار مشغولُ

(١٧) هو همام بن غالب بن صعصعة ، لقبه الفرزدق ويكني أبا فراس ، وهو شاعر مشهور من أشرف بيوت بني تميم ، قال الشعْر أربعاً وسبعين سنة ، وكان يمدح بني هاشم ويهجو بني أمية ، توفي سنة عشر ومائة في أول خلافة عبدالملك ، راجع معجم الشعراء ص ٤٦٥ وما بعدها والمؤتلف والمختلف ص ٢٥٠ .

(١٨) معترك الأقران : ص ٤٦٤ .

(١٩) هو الإمام بن إدريس الشافعي ، فقيه مشهور تفقه بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومذهبه أحد المذاهب الفقهية الأربعة ، ولد بغرة الشام سنة خمسين ومائة ومات بمصر في رجب سنة أربع ومائتين ، راجع اللباب : ٢/ ١٧٥-١٧٦ ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٦١ و ٦٦ و ١١١ .

(٢٠) الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٦٧ .

(٢١) الزمر : الآية ٢٧

(٢٢) العنكبوت : الآية ٤٣

(٢٣) الكهف : الآية ٥٤

(٢٤) البقرة : من الآية ٢٦ .

(٢٥) تفسير ابن كثير : ١/ ١١٣ دار الأندلس للطباعة والنشر .

(٢٦) العنكبوت الآية ٤٣ .

(٢٧) نظم الدرر : ١٨/ ٨٨

(٢٨) الحج : الآية ٧٣

(٢٩) هو سعيد بن مسعدة ، يعرف بالأخفش الأوسط ، وهو من أكابر أئمة النحويين البصريين ، كان صادقاً ثقة ، أخذ عن سيبويه ، صنف كتباً كثيرة في النحو والعروض والقوافي ، اختلف في سنة وفاته ، قيل سنة ٢١٥هـ راجع نزهة الألباء ص ١٣٣-١٣٥ ومعاني القرآن للأخفش ص ١٣ وما بعدها .

(٣٠) معاني القرآن للأخفش : ٢/ ٤١٦ ، راجع تفسير القرطبي : ١٢/ ٩٦ .

(٣١) هو أبو عبد الله الأنصاري القرطبي المالكي ، إمام عالم ، فقيه مفسر نحوي ، قرأ القراءات على أبي القاسم الشاطبي ، توفي بالمدينة المنورة سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، راجع طبقات ابن الجزري : ٢/ ١٠٧ وتفسير القرطبي : ١/ ٣٥ .

(٣٢) تفسير القرطبي : ١٢/ ,٩٦

(٣٣) سبأ : من الآية ٢٨

(٣٤) الأعراف : من الآية ٥٩

(٣٥) الأعراف : من الآية ٦٥

(٣٦) الأعراف : من الآية ٧٣

(٣٧) تفسير ابن كثير : ٣/ ,٢٤٥

(٣٨) هو الإمام المفسر برهان الدين أبو الحسن بن إبراهيم بن عمر البقاعي من أجلة أهل القرن التاسع ولد سنة ٨٠٥هـ وله مؤلفات عدة أهمها نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، توفي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م .

(٣٩) نظم الدرر : ١٣/ ٩٥

(٤٠) الأعراف : من الآية ١٩٤

(٤١) نظم لدرر : ١٣/ ٩٥

(٤٢) تفسير ابن كثير : ٣/ ٢٤٦

(٤٣) النكت والعيون : ٤/ ٤٠

(٤٤) القاموس المحيط : مادة سلب .

(٤٥) هو أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني لا يعرف متى ولد وأين تلقى العلم . له آثار أدبية منها المفردات في غريب القرآن ومحاضرات الأدباء وغيرهما ، كان أحد أئمة أهل السنة وكان متمكناً من اللغة العربية محيطاً بدقائقها وملماً بالنحو والصرف إلماماً تاماً ، راجع المفردات ص٣ . ذكر في النص «الغير» والأفضل ألا تلحقها «ال» .

(٤٦) المفردات : ص ٢٣٨ .

(٤٧) تفسير القرطبي : ١٢/ ٩٧

(٤٨) النكت والعيون : ٤/ ٤٠

(٤٩) مفكر إسلامي من مفكري القرن العشرين أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات جليلة في الفكر الإسلامي . عالج فيها كثيراً من القضايا الإسلامية .

(٥٠) في ظلال القرآن : ٤/ , ٢٤٤٤

(٥١) الأمثال في القرآن الكريم : ص ٤٨ .

(٥٢) تفسير ابن كثير : ٣/ ٢٤٦ .

(٥٣) المصدر السابق : ٣/ ٢٤٦ .

(٥٤) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٤٤٤ .

(٥٥) العنكبوت : الآية ٤١ .

(٥٦) تفسير القرطبي : ١٣/ ٣٤٥ .

(٥٧) نظم الدرر : ١٤/ ٤٤٢ .

(٥٨) في ظلال القرآن : ٥/ , ٢٧٣٦

(٥٩) نظم الدرر : ١٤/ ٤٤١ .

(٦٠) الحشر : من الآية ٢١ .

(٦١) الأعراف : من الآية ١٧٦ .

(٦٢) النور : الآية , ٣٤

(٦٣) إبراهيم : الآية , ٤٥

(٦٤) تفسير أبي السعود : ٥/ ٥٧ و ٥٨ .

(٦٥) الأعراف : الآيتان ١٧٥ و , ١٧٦

(٦٦) صفوة التفاسير : ١/ , ٤٨٣

(٦٧) المصدر السابق : ١/ ٤٨٣ .(٦٨) المفردات : , ٤٦٣

(٦٨) المفردات : ٤٦٣ .

(٦٩) الأعراف : الآية , ١٧٧

(٧٠) الفرقان : من الآية , ٣٢

(٧١) الفرقان : من الآية , ٣٢

(٧٢) الإسراء : الآية ٩٠ وما بعدها .

(٧٣) الإسراء : من الآية , ٩٣

(٧٤) الفرقان : الآية السابعة من

(٧٥) الفرقان : الآية , ٢٠

(٧٦) الشعراء : الآيتان ٢٢١و ٢٢٢

(٧٧) البقرة : من الآية ٢٦

(٧٨) أنظر النكت والعيون : ١/ ٨٧ ، راجع تأملات في سورة البقرة ١/ ٢١٩

(٧٩)صفوة التفاسير : ١/ ٤٦ عن الزمخشري ، راجع تأملات في سورة البقرة ١/ , ٢٠

(٨٠) الطراز : ٢/ ٧٨

(٨١) البقرة : من الآية ٢٦ .

(٨٢) الزخرف : الآيتان ٥٧و ٥٨

(٨٣) قاله قتادة ، ونحوه مجاهد ، انظر القرطبي : ١٦/ ١٠٢

(٨٤) النساء : من الآية ٢٨

(٨٥) تفسير القرطبي : ١٦/ ١٠٣

(٨٦) قرأ ذلك نافع والكسائي وابن عمر راجع تفسير القرطبي : ١٦/ ١٠٣

(٨٧) تفسير القرآن : ١٦/ ١٠٤

(٨٨) الزخرف : الآية ١٧

(٨٩) الإتقان : ١/ ١٩٤

(٩٠) التفسير الكبير : ٢٧/ ٢٠١ دار النقد

(٩١) الزخرف : الآية ١٦

(٩٢) النجم : الآيتان ٢١و ٢٢

(٩٣) اسمه محمد ويكنى بأبي هاشم ، ولد بدمشق عام ١٩١٢م ، أنهى في عام ١٩٣٥م دراسته الجامعية في دمشق ودرس في كلية الآداب بالسربون بباريس ، درس الأدب العربي والثقافة الإسلامية نال عدة شهادات علمية ، عمل مدرساً في الجامعات والمعاهد العلمية له مؤلفات منها دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم وغيره وعالج كثيراً من مشكلات العالم الإسلامي في كتبه ، راجع علماء ومفركون عرفتهم ص ٢١٩ .

(٩٤) دراسة أدبية لنصوص القرآن الكريم : ص ٩٨

(٩٥) المصدر السابق : ص ٦١

(٩٦) إبراهيم : الآيات ٢٤-٢٧

(٩٧) البرهان في علوم القرآن : ٢/ ٣٤٠

(٩٨) تفسير ابن كثير ، كتاب الشعب : ٤/ ٤١٢

(٩٩) تفسير ابن كثير : ٤/ ٣١٣

(١٠٠) الرعد : الآية ١٧

(١٠١) صفوة التفاسير : ٢/ ٧٩

(١٠٢) ظلال القرآن: ٤/ ٢٠٥٤

(١٠٣) المصدر السابق : ٤/ ٢٠٥٣- ٢٠٥٤

(١٠٤) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٠٥٤

(١٠٥) يونس : الآية ٢٤

(١٠٦) الكهف : الآية ٤٥

(١٠٧) الحديد : الآية ٢٠

(١٠٨) الطراز : ٢/ ٢٦٦

(١٠٩) المصدر السابق : ١/ ٣٦٢

(١١٠) الأعراف : من الآية ٣١

(١١١) أسرار البلاغة : ص ٧٨

(١١٢) الكهف : من الآية ٣٢ إلى الآية ٤٤

(١١٣) البقرة : ١٧-٢٠

(١١٤) الإتقان في علوم القرآن : ٢/ ١٦٧ ، راجع البحر المحيط : ١/ ٨٠

(١١٥) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي الضرير ، أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، صنف الجامع والعلل تصنيف رجل متقن وبه كان يضرب المثل ، تلمذ لمحمد بن إسماعيل البخاري وشاركه في شيوخه ، توفي بقرية بوغ سنة اثنين وسبعين ومائتين ، راجع اللباب : ١/ ,٢١٣

(١١٦) الأمثال : ص ٥

(١١٧) الأمثال : ص ٦

(١١٨) الأحزاب : من الآية ١٩

(١١٩) التوبة : من الآية ٦٩

(١٢٠) النكت والعيون : ١/ ٨٠

(١٢١) المنافقون : من الآية الرابعة

(١٢٢) راجع البحر المحيط : ١/ ٧٥ .

(١٢٣) راجع النكت والعيون :.١/ ٨٠ وتأملات في سورة البقرة : ١/ ١١٩

(١٢٤) يونس : من الآية الخامسة .

(١٢٥) البحر المحيط : ١/ ٨٠ ، راجع الأمثال لأبن قيم الجوزية ص١٠ ، وراجع فوائد في مشكل القرآن : ص ٨١ .

(١٢٦) الأمثال لأبن قيم الجوزية : ص ٨٠ .

(١٢٧) الإسراء : من الآية الأولى .

(١٢٨) الطور : من الآية ٤٨ .

(١٢٩) هود : من الآية ٨١ .

(١٣٠) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الملقب بجار الله ولد في رجب

سنة سبع وستين وأربعمائة من الهجرة بزمخشر ، قرية من قرى خوارزم . وقدم بغداد ولقي الكبار وأخذ عنهم وهو إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب ويضرب به المثل في علم الأدب ، صنف التصانيف البديعة في التفسير و الحديث وغيرهما وله كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل ، توفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، راجع اللباب : ٢/ ٧٤ والمفردات : ١/ ٢٩، وانظر نزهة الألباء ص ٣٩١-٣٩٣ .

(١٣١) فوائد في مشكل القرآن : ص ٨٢ .

(١٣٢) راجع التبيان في علم المعاني والبديع والبيان : ص ٤٥٦ .

(١٣٣) هو حبيب بن أوس الطائي ولد سنة ١٩٠ هـ بجاسم من قرى حوران بسوريا ، ونشأ بمصر وهو شاعر ، توفي بالموصل سنة ٢٣١هـ ، راجع البلاغة فنونها وأفنانها : ص ٢٧ .

(١٣٤) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الشاعر المشهور، اتصل بسيف الدولة فأكثر مدحه ، وبكافور الإخشيدي بمصر ثم سار إلى عضد الدولة بفارس فمدحه وعاد إلى بغداد فقتل في الطريق بالقرب من النعمانية في شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ، راجع اللباب : ٣/ ١٦٢ .

(١٣٥) الفتح : من الآية ٢٩ .

(١٣٦) راجع تفسير القرطبي : ١/ ٢٩٤ وأمثال ونماذج بشرية ، ٢/ ١٩٥ وفي ظلال القرآن : ٦/ ٣٣٣٢ .

(١٣٧) البقرة : الآية ٢٦٥

(١٣٨) راجع النكت والعيون : ١/ ٣٤٠ .

(١٣٩) محمد : من الآية ١٥

(١٤٠) انظر الآية السادسة والآية الثانية عشرة من سورة محمد ، راجع في ذلك تفسير القرطبي : ١٦/ ٢٣٦ ونظم الدرر : ١٨/ ٢١٨ .

(١٤١) راجع نظم الدرر : ١٨/ ٢١٨

(١٤٢) الرعد : الآية ٣٥

(١٤٣) البقرة : من الآية ١٧١

(١٤٤) البقرة : من الآية ١٧٠

(١٤٥) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لازم النبي صلى الله عليه وسلم في صغره لقرابته منه ، ولازم

كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله ، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير ، كانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح ، راجع التفسير والمفسرون : ١/ ٦٩ .

(١٤٦) تفسير ابن كثير : ١/ ٢١٨

(١٤٧) تفسير ابن كثير : ١/ ٢١٠

(١٤٨) تفسير القرطبي : ٢/ ٢٤١

(١٤٩) القاموس المحيط : مادة زجر

(١٥٠) هو الأخطل التغلبي واسمه غياث بن غوث بن الصلب من قبيلة تغلب وهو الشاعر المشهور.من الأراقم ، راجع المؤتلف والمختلف : ص ٢١ .

(١٥١) الاتقان في علوم القرآن : ٢/ ٧٩-٨٠ .

(١٥٢) آل عمران : الآية ٥٩ .

(١٥٣) راجع تفسير القرطبي : ٤/ ١٠٢

(١٥٤) المصدر السابق .

(١٥٥) نظم الدرر : ٤/ ٤٢٥ .

(١٥٦) ص : الآية ٧١ .

(١٥٧) آل عمران : الآية ٥٩ .

(١٥٨) راجع نظم الدرر ٤/ ٤٢٥ والبرهان في علوم القرآن : ٣/ ,٣٧٨

(١٥٩) البقرة : من الآية ٢٦٤ .

(١٦٠) البقرة : من الآية ١٧ .

(١٦١) الأعراف : من الآية ,١٧٦

(١٦٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي ، مولده في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة كان حجة صدوقاً ، أخذ الأدب عن أبي عمرو الزاهد وإسماعيل الصفار وله من التصنيف : غريب الحديث - وشرح البخاري ، وغير ذلك ن مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ، راجع بغية الوعاة ١/ ٥٤٦-٥٤٧ .

(١٦٣) راجع الأمثال في القرآن : ص ٦٠٥ والإتقان في علوم القرآن : ٢/ ,١٦٧

(١٦٤) الجمعة : الآية الخامسة .

(١٦٥) الفتح : من الآية ٢٩ .

(١٦٦) هود : الآية ٢٤

(١٦٧) أمثلة ونماذج : ٣/ ٤٨٢

(١٦٨) إبراهيم : الآية ٢٤

(١٦٩) إبراهيم : الآية ٢٦

(١٧٠) المفردات : ص ٣٧٧

(١٧١) راجع نظم الدرر : ١٠/ ٤١٤ والمفردات ص ٨٨

(١٧٢) راجع نظم الدرر : ١٠/ ٤١٤

(١٧٣) الفتح : من الآية ٢٩

(١٧٤) البقرة : الآية ٢١٦

(١٧٥) راجع الآيتين ٢٥٩ و ٢٦٠ من سورة البقرة .

(١٧٦) البقرة : الآية ٢٦٥ .

(١٧٧) الطراز : ٣/ ٣٣١ . راجع أيضا الطراز : ١/ ٣٠٦

(١٧٨) إبراهيم : الآية ١٨

(١٧٩) نظم الدرر : ٤/ ٢٨٥

(١٨٠) تنوير الأذهان : ٢/ ٢١٧

(١٨١) تفسير أبي السعود : ٥/ ٤٠

(١٨٢) تفسير القرطبي : ٩/ ٣٥٤

(١٨٣)آل عمران : الآية ١١٧ .

(١٨٤) الأمثال في القرآن الكريم : ص ٥٤

(١٨٥) تفسير القرطبي : ٤/ ١٧٧-١٧٨ والأمثال في القرآن : ص ٥٤

(١٨٦) نظم الدرر : ٥/ ٣٥ .

المصادر و المراجع

- **الآمدي** : **أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيي** ، المؤتلف والمختلف دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

- **ابن الأثير** : **ضياء الدين** ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – منشورات دار الرفاعي بالرياض الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- **الأصفهاني** : **أبو القاسم الحسن بن محمد** ، المفردات في غريب القرآن – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

- **الأنباري** : **أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن** ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء – دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٧م

- **باحو دة** : **حسن محمد** ، تأملات في سورة البقرة – دار مصر للطباعة.

- **بدر الدين** : **محمد بن عبد الله** ،

  أ – البرهان في علوم القرآن دار إحياء الكتب العربية الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

  ب– البرهان في علوم القرآن طبعة دار المعرفة الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

- **البرسوى** : **الشيخ إسماعيل حقي** ، تفسير روح البيان – دار إحياء التراث العربي بيروت (بدون تاريخ) .

- **البقاعي** : **برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر** ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

- **البغوي** : **أبو محمد الحسين بن مسعود** ، تفسير البغوي (معالم التنزيل) – دار المعرفة بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

- **البيانوني** : **عبد اللطيف** ، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره ، دار العلم دمشق والدار الشامية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

- **الترمذي** : **أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم** ، الأمثال من الكتاب والسنة – دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

- **التوحيدي** : **أبو حيان** ، البحر المحيط – دار إحياء التراث العربي – الطبعة الثانية ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م بيروت لبنان .

ـ **الجرجاني : السيد الشريف علي بن محمد علي** ، التعريفات -مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م

ـ **الجرجاني : عبد القاهر** ،

أ - أسرار البلاغة - نشر دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

ب - دلائل الإعجاز - دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م .

ـ **الجرجاني : محمد بن علي بن محمد** ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة مطبعة نهضة مصر القاهرة ١٩٨١م.

ـ **الجزري : عز الدين بن الأثير** ، اللباب في تهذيب الأنساب - دار صادر بيروت - بدون تاريخ .

ـ حبنكة : **عبد الرحمن حبنكة الميداني** ، الأمثال في القرآن - دار القلم دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

ـ **الخطيب : عبد الكريم** ، التفسير القرآني - طبع ونشر دار الفكر العربي (بدون تاريخ).

ـ درويش : **أبو الوفاء محمد** ، من أمثال القرآن - دار التنمية الثقافية للطباعة والنشر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

ـ **الذهبي : محمد حسين الذهبي** ، التفسير والمفسرون ، دار القلم الطبعة الأولى - بدون تاريخ .

ـ **الرازي : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين** ،

أ - التفسير الكبير - المطبعة البهية المصرية الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧م

ب- عجائب القرآن - دار المكتبة العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ـ ابن رشيق : **أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني** ، العمدة في صناعة الشعر ونقده - تحقيق وتعليق : محمد محي الدين عبدالحميد -دار الجيل - بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

ـ زائد : **عبد الرازق أبو زيد** ، علم البديع - نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧م .

ـ **الزرقاني : الشيخ محمد عبد العظيم** ، مناهل العرفان في علوم القرآن - مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٣٦١هـ

ـ **الزركلي : خير الدين الزركلي** ، الأعلام قاموس تراجم - الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

ـ **الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمد بن عمر** ، الكشاف - دار المعرفة بيروت (د.ت) .

ـ **سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر** ، الكتاب - مطبعة. بولاق - الطبعة الأولى ١٣١٦هـ

ـ **السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن عمر ،**

- الإتقان في علوم القرآن - بيروت (د. ت) .

- معترك الأقران في إعجاز القرآن - طبع ونشر دار الفكر العربي (د.ت).

- التحبير في علم التفسير - دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

- بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة - طبعة دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ـ **الشريف : محمود ،** الأمثال في القرآن - دار عكاظ - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ـ **الصابوني : محمد علي ،** صفوة التفاسير -دار القلم بيروت - الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ـ **ضيف : شوقي ،** المدارس النحوية - دار المعارف - الطبعة الرابعة (د. ت) .

ـ **طاحون : أحمد بن محمد ،** أمثلة ونماذج بشرية من القرآن الكريم - مكتبة التراث الإسلامي القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـ **الطبرسى : الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن ،** مجمع البيان في تفسير القرآن - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦١م .

ـ **الطيبى : شرف الدين ،** التبيان في علم المعاني والبديع والبيان . عالم الكتب . مكتبة النهضية العربية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ـ **عاشور : الشيخ محمد الطاهر ،** تفسير التحرير والتنوير - الدار التونسية ١٩٨٤م.

ـ **عاشور : دكتور عبد الفتاح ،** منهج القرآن في تربية المجتمع - مكتبة الخانجي بمصر - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ـ **عاشور : محمد الفاضل ،** التفسير ورجاله - دار الكتب الشرقية - تونس - الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

ـ **عبد السلام : عز الدين بن عبد العزيز ،** فوائد في مشكل القرآن - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ **العبدلي : الدكتور الشريف منصور بن عون ،** الأمثال في القرآن - نشر وتوزيع عالم المعرفة - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

ـ **العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ،** كتاب الصناعتين - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ـ **العلوي : يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم ،** الطراز - دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

ـ **علي** : **أحمد علي** ، دراسات في علم البديع - مطبعة الأمانة شبرا مصر الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

ـ **العمادي** : **تفسير أبي السعود** ، دار إحياء التراث العربي (د.ت).

ـ **العينى** : **بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد** ، عمدة القارئ شرح البخاري - دار الفكر (د.ت)

ـ **الفياض** : **محمد جابر** ، الأمثال في القرآن - دار الشئون الثقافية العامة ببغداد - الطبعة الأولى ١٣٩٩م .

ـ **القرطبي** : **أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري** ، الجامع لأحكام القرآن - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

ـ **قطب** : **سيد** ، في ظلال القرآن - دار الشروق الطبعة الحادية عشر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

ـ **ابن قيم الجوزيرة** : **شمس الدين محمد بن أبي بكر** ، الأمثال في القرآن :

١ - مكتبة الصحابة بطنطا - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

٢ - طبعة دار المعارف ، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ـ **الماوردي** : **أبو الحسن علي بن محمد** ، تفسير الماوردي (النكت والعيون) - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان- مدرسة الكتب الثقافية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ـ **المبارك** : **محمد** ، دراسة أدبية لنصوص من القرآن - دار حافظ للنشر والتوزيع - جدة - الطبعة الرابعة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م .

ـ **المجذوب** : **محمد** ، علماء مفكرون عرفتهم - دار النفائس -الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

ـ **مخلوف** : **حسين** ، صفوة البيان - الطبعة الثانية - الكويت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ـ **المرزباني** : **أبو عبد الله محمد بن عمر بن موسى** ، معجم الشعراء - دار إحياء الكتب العربية - يحيى البالي الحلبي - تحقيق عبد الستار أحمد فراج .

ـ **المعلمى** : **الفريق يحيى عبد الله** ، الشواهد والأمثال في القرآن الكريم - دار الاعتصام (د.ت) .

ـ **النيسابوري** : **نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين** ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٩٦٢م .

The Lofty Aims and Magnificent Eloquence of the Universality of Quranic Proverbs

MAHGOUB ALHASSAN MOHAMED

Arabic Language Department,
Faculty Of Arts and Humanities,
King Abdul Aziz University

ABSTRACT. The motive for this research, is to show one aspect of the miracle of the Quran. It attempts also to discover a portion of the elegance in revelation and the jems residing in Quranic proverb. This has two main objectives:

1) The universality of the Quranic verse and its suitability to humanity at large wherever it is found, indicating that this universality of Quranic proverbs stems from the universality of the Quran which needs to be known and understood by all generations.

2) Establishing the rhetoic and eloquence, which characterize the Quranic, style which its miracle-laden proverbs and the many benefits as well as the rich discovers. All of which are beyond human capabilities to match.